

التقوى

المجلد ٣٤ - العدد ١٢

شعبان ومضان ١٤٤٣هـ، نيسان/أبريل ٢٠٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي جَعَلَ الْقُرْآنَ
عِلْمًا وَرَحْمَةً وَرُحْمًا
وَالَّذِي يُضَلِّقُ الْكُفَّاتِ
وَالَّذِي يُضَلِّقُ الْكُفَّاتِ
وَالَّذِي يُضَلِّقُ الْكُفَّاتِ



لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

إسلامية شهرية

تصدر عن

المكتب العربي

بالجماعة الإسلامية

الأحمدية العالمية،

المملكة المتحدة

رئيس التحرير

أبو حمزة التونسي

"التقوى" النسخة الإلكترونية

altaqwa.net

مواد دينية، ثقافية، تاريخية وعلمية
في غابة الأهمية.

هيئة التحرير

عبد المؤمن طاهر

عبد المجيد عامر

محمد طاهر نديم

محمد أحمد نعيم

مير أنجم برويز

الهيئة الإدارية

نصير أحمد قمر

منير أحمد جاويد

عبد الماجد طاهر

مشراف الموقع

نفييس أحمد قمر

الاتصالات:

Al Taqwa,
22 Deer Park Road,
London SW19 3TL,
United Kingdom

e: info@altaqwa.net

إخلاء المسؤولية:

تبذل مجلة التقوى جهدها لضمان دقة المعلومات والمواد المنشورة عبر منصاتها، والتي هي نتاج سعي كاتبها إلى إبداء وجهة نظره انطلاقاً من أسس الجماعة الإسلامية الأحمدية التي لا يملك حق تمثيلها سوى سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي (عليه الصلاة والسلام) ومن بعده خلفائه الأطهار حصراً، فتحظى المادة بالموافقة على النشر بقدر ما يوفق كاتبها للبحث والتمحيص، إلا أن مجلة التقوى لا تقدم أي ضمان صريح أو ضمني حول ما تنشره من مواد، وإن كانت تسعى بنفسها للتأكد من دقتها. لذا فإن أي خطأ قد يصدر من الكاتب فهو على مسؤوليته الشخصية، ولا تحمّل الجماعة الإسلامية الأحمدية أو إدارة «التقوى» تبعاته.

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيهاً استرالياً
أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية
باسم ASI.Ltd

© جميع الحقوق محفوظة
للشركة الإسلامية الدولية
ISSN 1352 - 9463



المحتويات

العقد 12 | المجلد 34 | ابريل 2022

شعبان ورمضان 1443 هـ | نيسان / ابريل 2022



كلمة التقوى

2

تقوى الجوار ومواساة الضيف جوهـ
الممل الصالح

في رحاب القرآن

4

آلية حشر الناس وعقابهم على سوء أعمالهم

من نسائم الروضة النبوية الشريفة

8

نفحات الإيمان في شهر رمضان

هكذا تكلم المسيح الموعود

9

من أسرار الصيام، وتسمية
شهر "رمضان"

القول الصواب في التوفيق بين استجابة الدعاء
والعمل بالأسباب خطبة الجمعة بتاريخ ١٦/٤/٢٠٢١م

10

ماهية البركة في شهر بركات الدعاء

22

سامح مصطفى

هذا زمان هكذا أهله

26

مقتطفان من ديوان سيدنا علي بن ابي طالب

كيف يسكن حب الله في القلب؟

30

د. أسامة عبد المظيم

موقف العالم من رسالات السماء

34

ضحى أحمد

حكم ونوادر قيل في آداب الصمت والكلام

36

الداعية نفيس أحمد قمر



الله تعالى إله الفرص المتجددة، من هذه الفرص أنه يعيد علينا خير الشهور، شهر رمضان المعظم، الذي أنزل فيه القرآن في ليلة هي أفضل الليالي، ومن فضل هذا الشهر أن القوى الروحانية تُشحذ فيه، ويُصقل سلاح الدعاء، فيكون أهلاً للإجابة.

تَقْوَى الْجَوَارِ وَمَوَاسَاةِ الضَّيْفِ جَوْهَرُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ

يهل هلال رمضان هذا العام وقوى العالم العسكرية بموج بعضها في بعض، وقد أحدث الصراع الدائر في أوكرانيا دويًا لم تحدته جائحة كورونا الكوكبية. وكيف لا ومنذ اندلاع الصراع في شرق أوروبا لم نكد نسمع الأخبار المعتادة عن إصابات فيروس كورونا بمتحوراته المعروفة طوال سنوات ثلاث متلاحقة؟! نعم، وباللعب! ولننح نظرية المؤامرة جانبًا، ونقل أن القوى الكبرى منهكة في تسوية ذلك الصراع العسكري المحتدم، والذي يُخشى من تطوره لمستوى الدمار الشامل، بالحرب النووية.

ويطل علينا عدد إبريل هذا العام مترامًا مع حلول شهر رمضان المعظم، فيحسن بنا أن نفتحه مع مسعى التغيير الحمود ذاته، ولكن هذه المرة على مستوى الإنسانية جمعاء، ممثلة في دولها وكياناتها السياسية، وأحلافها العسكرية، لا سيما وأن الحاجة تبدو ملحة في ظل الأحداث الجارية على الصعيد العالمي، فنقول، مستنيرين بكلام المسيح الموعود ﷺ أيضًا، أن الزيت الذي يُبقي على وهج سراج الدول، إنما هو زيت المواساة، والذي حيثما نضب كان نذير خراب تلك الدول واندثارها. أما السر فقد كشفه المسيح الموعود ﷺ حين حدثنا عن مواساة الخلق، ذلك الخلق الذي هو شطر العبادة، حيث إن العبادة شطران: توحيد الخالق، ومواساة جميع الخلائق. والمواساة التي

نعنيها بتعبير آخر هي أداء حقوق العباد، بما عبر عنه خليفتنا الخامس حضرة مرزا مسرور أحمد (أيده الله تعالى بنصره العزيز) بأننا لو أحصينا ما علينا من حقوق لخلق الله لأصابتنا نوع من القلق جرأ التقصير فيها^(١). وعلى ذكر المواساة، فإن أحداث الساعة الراهنة أسهمت في إمطة القناع عن وجه العنصرية الوحشي البغيض في الغرب، ذلك الشطر الثقافي الذي كان يُنظر إليه ظنًا أنه عالم القيم الإنسانية وصيانة حقوق الإنسان، فإذا بالحلة البراقة الزاهية تحتها جسد نتن كربه الرائحة والمنظر. فمنذ بدأ التحرك الفعلي لآلة الحرب في أوكرانيا، بدأ معه سكان أوكرانيا، سواء من مواطنيها أو من غيرهم، الفرار بحياتهم. وفي خضم هذه المحاولات للنجاة اشتكى غير أوروبيين من تعرضهم لممارسات عنصرية عند الحدود، وتزامنت هذا الشكاوى مع تغطية إعلامية غريبة قام بها إعلاميون غربيون وضيوفهم لهذه الأزمة الإنسانية، وقد عبر فيها كثير من هؤلاء الإعلاميين وضيوفهم عن «صدمتهم» لرؤية ما كانوا يعتادون حدوثه في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فإذا به يحدث لأوروبيين «يشبهونهم»، ذوي أعين ملونة وبشرة بيضاء. الأمر الذي كان وما زال مثار غضب واحتجاج واسع النطاق حول العالم.

وحين نعرض للمقارنة العلمية بين الإسلام وما سواه من أنظمة ثقافية وأخلاقية، لا يساورنا شك في أن كل اضطراب في وضع السلام العالمي إنما يكون منشؤه أثره طرف لنفسه على غيره، وظنه أنه خير من أخيه، وأحق منه بمتاع الدنيا.. وهذه المشكلة تزداد تعقدًا حين تنتقل من مستوى الأفراد إلى مستوى الدول، وعلى كل، فقد استبق الإسلام بشريعة القرآن تلك المعضلة ووضع لها حلًا جذريًا، يلخصه قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^(٢)، فإن ما فضل الله تعالى به بعض الدول على بعض من موارد وثروات طبيعية، إنما هو ابتلاء لتلك الدول وفتنة، فإذا ما استعملت تلك الدول مواردها في مواساة

قارئ «التقوى» العزيز، في هذا الشهر الفضيل، يُعنى فريق التحرير بتريقتك الروحية، التي تُعنى بشقي العبادة كليهما، توحيد الله تعالى والتوجه إليه بالدعاء المستجاب، من خلال مداورة خطبة حضرة

أمير المؤمنين التي يعلمنا حضرته من خلالها القَوْلَ الصَّوَابَ فِي التَّوْفِيقِ بَيْنَ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَالْعَمَلِ بِالسَّبَابِ، ثم شق العبادة الثاني، وهو مواساة الخلق. ولأن هذا الشهر الفضيل فرصة متاحة للتقرب إلى الله عز وجل، لكونه ظرفاً روحانياً مثالياً مهيباً للدعاء واستنزال الرحمات، فإننا ندعو إخواننا في الإنسانية من شتى الأعراق والأذواق أن يشحنوا قوة

المواساة في نفوسهم، عوض أن يشحنوا أسلحتهم وينادقهم، ذلك لكي نكونوا أهلاً لأن ينظر الله تعالى إليهم بعين رحمته

وفضله، كما ندعو الله تعالى، مدفوعين بعاطفة مواساة الخلق، أن يميظ أذى الحرب المدمرة عن العالم، ويهدي ساسته وجنده إلى سواء السبيل، آمين.

الهوامش:

١. حضرة مرزا مسرور أحمد، خطبة الجمعة بعنوان "رمضان واختبار التقوى"، بتاريخ ٢٠٢٠-٠٤-٢٤
٢. (طه: ١٣٢)
٣. انظر: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، ج ٣، ص ٥٩٢، الترجمة العربية، ط ١، الشركة الإسلامية المحدودة، لندن، ١٩٩١م.
٤. (هود: ٧٢)
٥. (هود: ٧٩)
٦. (صحيح البخاري، كتاب الأدب)

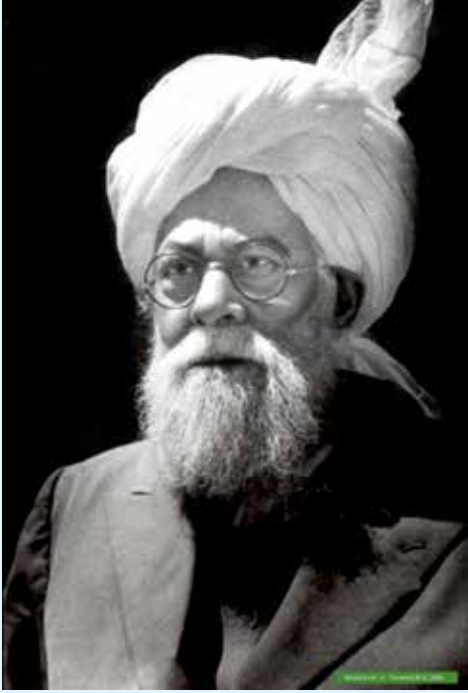
خلق الله، بورك في تلك الموارد وكانت مورد نعم، وإلا كانت هي ذاتها مجلبة للنقم. الفيصل إذن في دوام النعم هو توظيفها في مواساة الخلق، وهذا هو جوهر العمل الصالح، وأحد أبرز الأخلاق النبوية التي اشتهر بها نبي كريم كحضرة

إبراهيم الخليل عليه السلام والذي تعكس مشاهد سيرته في القرآن الكريم كافة مظاهر المواساة، من إكرامه ضيفاً عابراً سبيل، أو تأوه لمجرم استحق التنكيل، وهذا الخلق الحميد، بوجهيه كليهما، لم يكن حضرة إبراهيم عليه السلام وحده المتصف به، بل كان كذلك أيضاً أهل بيته^(٣)، حتى قال الله تعالى بحقهم:

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(٤)..

وعلى الجانب الآخر فإن آيات لاحقة في ذات السورة القرآنية، تسلط الضوء على خُلقٍ ذميم مناقض

للخلق الإبراهيمي، وذلك في سياق إهانة الضيف وقطع الطريق وإيذاء عابر السبيل، فيقول الله تعالى على لسان حضرة لوط عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾^(٥)! فلننظر بتأمل مآل بيت إبراهيم والبشارة التي تلقاها باستمرار البركة في نسله، ثم مصير قوم لوط في المقابل، إذ قُطع دابره، حيث إن البشارة كانت نتيجة وثوابا على إيمان عظيم بالله واليوم الآخر.. الجميل أن هذين الخلقين المعول عليهما في دوام النعم واستمرارها، أي حسن الجوار وإكرام الضيف، يندرج كلاهما تحت مواساة الخلق، ويجمعهما تعليم نبوي واحد، حيث قال خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»^(٦).



حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

المصلح الموعود رحمته الله

الخليفة الثاني لحضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

تأويل حشر الناس وعقابهم جزاء سوء أعمالهم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٣﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٤﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقَابًا ﴿٤٥﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْخَيْزُومَ الَّذِي كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٦﴾ أَمْثَالُ الْوَلْتُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا ﴿٤٧﴾ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٨﴾

﴿٤٣﴾

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾
(الكهف ٤٣)

شرح الكلمات:

أُحِيطَ بِثَمَرِهِ: أُحِيطَ بِهِ: دنا هلاكه. والسنة المجدبة تحيط بالأموال أي تهلِكها (التاج). فالمراد من قوله تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أي دُمِر ثمره.

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ: أي يتندم (الأقرب).

* العنوان الرئيسي من إضافة أسرة «التقوى»

خَاوِيَةٌ: اسم فاعل للمؤنث من خَوَتِ الدارُ تَخْوِي: أَقَوَّتْ وَسَقَطَتْ وَتَهَدَّمَتْ. وَخَوِيَتِ الدارُ: خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا (الأقرب). عروش: جمعُ عرشٍ، والعرشُ من البيت: سَقْفُهُ (الأقرب). فقوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني أنها متهدمة على سقوفها.

التفسير:

قوله تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ يعني أن جهودهم لن تأتي بالنتائج المنشودة كسابق الأيام، فسيقولون أسفًا وحسرةً: لم تعد الأسباب التي جمعناها ببذل المال الكثير ذات جدوى. ذلك أن الشعوب التي تنفق الأموال من أجل الشوكة الدنيوية تستولي الحسرة

لقد كشفت هذه الآية جلياً أن هذا البيان القرآني يتضمن نبأ عن المستقبل. ذلك أن الله تعالى يشير هنا إلى أن الملك يومئذ سيصبح لله الحق، وأنه تعالى سيتفضل على عباده الموحدين الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (٤٥)

التفسير:

لقد كشفت هذه الآية جلياً أن هذا البيان القرآني يتضمن نبأ عن المستقبل. ذلك أن الله تعالى يشير هنا إلى أن الملك يومئذ سيصبح لله الحق، وأنه تعالى سيتفضل على عباده الموحدين الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (٤٦)

شرح الكلمات:

اختلطَ به: أي امتزج (الأقرب).

هشيمًا: المهشوم؛ نبت يابس متكسر، أو يابس كل كالأ وكل شجر (الأقرب).

تذروه: ذرت الريح التراب: فرقته وأطارته وأذهبتة (الأقرب).

مقتدراً: اقتدر عليه: قوي عليه وتمكن منه (الأقرب).

التفسير:

بضرب مثل الحياة الدنيا هنا قد زاد الله تعالى المثال السابق وضوحاً وجلالاً. يوضح هنا ﷻ: إن الحياة المادية تبدو في

الشديدة على قلوبهم عندما يحيط بهم الدمار، لأن المباني التي يزهون بها لا يقدرّون حينئذ حتى على إصلاحها. ولكن الأمم التي تنفق أموالها للنهوض بأفرادها في المجالات العلمية والأخلاقية لا تتحسر على ما أنفقت أبداً.

علماً أن في قوله تعالى ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ إشارة إلى هذه الشعوب التي ستصاب بعقدة نفسية لبناء المباني الشاخنة؛ ذلك أن تعبير «وهي خاوية على عروشها» لا يستخدم عن البساتين. إذا فإنهم سيقولون متأسفين: يا ليتنا لم نفع في الشرك والوثنية، ولتينا نجونا من العذاب بقبول نصح الناصح.

كما أن قوله تعالى ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ تومئ أيضاً إلى أنهم سيتعرضون لعذاب يؤدي إلى دمار المدن وهدم المباني.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (٤٤)

شرح الكلمات:

فئة: الفئة: الجماعة؛ الطائفة (الأقرب).

منتصراً: اسم فاعل من انتصر منه: انتقم منه. وانتصر عليه: استظهره (الأقرب).

التفسير:

أي أن هذه الأمة ستكون واثقة من أن المسيح سينصرهم، ولكنه أيضاً لن يستطيع نصرهم يومئذ أبداً.

فمع أن نزول الماء المادي من السماء يُكثر النبات والخضرة لدرجة أن أغصان الأشجار تتشابك بعضها في بعض لكثرتها، لكن هذه الخضرة كلها تيبس حتى تصبح هشيماً تطير في الرياح. بيد أن الزرع الذي يُسقى بالماء الروحاني لا يذبل ولا ييبس أبداً.

الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ
عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٧﴾

التفسير:

في المثال الأول ذَكَرَ اللهُ تعالى الجنة، ثم ساق قولَ صاحبها للشخص الآخر: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ نفراً﴾، وذلك لبيان المراد الحقيقي من تلك الجنة. وبالمثل ذكر في هذا المثال «نبات الأرض»، ثم أردفه بقوله ﴿المال والبُنون زينة الحياة الدنيا﴾، وذلك لبيان المقصود الحقيقي من «نبات الأرض» هنا. إن الله تعالى ينبهنا أنه بالرغم من أن المال والبُنون زينة الحياة الدنيا، إلا أن الإنسان لو استخدمها بطريقة سليمة.. أي أنفق ماله في سبيل إعلاء كلمة الدين وسخر أولاده في خدمة الدين.. لكتب الله لأمواله وأولاده أيضاً الدوام. لا شك أن المال ينفد بالإنفاق، ولكن أثره الطيب يبقى؛ وبالمثل يفنى الأولاد، ولكن ذكرهم الحسن لا يفنى؛ وبالتالي يخلد الصيت الحسن لأبائهم. أما قوله تعالى ﴿والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أَمْلاً﴾ فاعلم أن الباقيات الصالحات تعني كل عمل صالح طيب.

ولقوله تعالى ﴿خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أَمْلاً﴾ مفهومان: الأول أن العمل الطيب يأتي بنتيجة طيبة في هذه الدنيا، كما تُعقد به الآمال الطيبة في الآخرة؛ وكأن كلمة «ثواباً» تشير إلى نتيجة العمل الصالح في الدنيا، بينما تومئ كلمة «أَمْلاً» إلى

أول أمرها جميلة جداً، ولكن مصيرها مريع تماماً. أما الحياة الروحية فتبدو في بدايتها عارية من الجمال وقاسية، ولكن عاقبتها تكون جميلة جداً. فمع أن نزول الماء المادي من السماء يُكثر النبات والخضرة لدرجة أن أغصان الأشجار تتشابك بعضها في بعض لكثرتها، لكن هذه الخضرة كلها تيبس حتى تصبح هشيماً تطير في الرياح. بيد أن الزرع الذي يُسقى بالماء الروحاني لا يذبل ولا ييبس أبداً.

وقد يعترض على هذا المثال أحد فيقول: الزرع إنما يصلح للأكل بعد أن ييبس ويتهشم؟ والجواب أن الله تعالى لا يضرب هنا مثل الأكل بل مثل الزرع، ليبين أن الشعوب إبان ازدهارها المادي تبدو كزرع نضر يهتز ويتمايل، ولكن لا أحد يلوي عليها زمن انحطاطها. وعلى النقيض فإن الأمم التي تهتم بالدين تنال عزةً أبدية في الدنيا، بالإضافة إلى ما لها في الآخرة من تكريم. خذوا على سبيل المثال قوم نوح، فلم تبق لهؤلاء الكافرين اليوم من باقية، ولكن نوحاً عليه السلام لا يزال يُذكر بعزة واحترام. وكذلك كان إبراهيم. والحال نفسه ينطبق على موسى إذ ما زال موضع احترام في العالم بالرغم من أن قومه اليهود قد ضُربت عليهم الذلة. إن الفتوحات المادية التي أحرزها المسلمون في القرون الأولى قد انمحت أثرها واختفى، ولكن لا زال لخدماتهم الدينية تأثير عميق بحيث تجدون حتى اليوم أناساً يريدون أن يضحوا بأرواحهم حفاظاً على كرامة حتى أقل هؤلاء المسلمين الأوائل درجةً.

استل أهل القرية وأهل العير. يوضح الله ﷻ هنا أن هذه الأنباء ستتحقق في الزمن الذي ينفر فيه كبار القوم، وترى الأرض، أي جميع أهلها، قد خرجوا ووقفوا وجها لوجه لحرب طاحنة لن تغادر منهم أحداً. وفي الإنجيل أيضاً إشارة إلى هذا الأمر حيث يقول المسيح ﷺ: «تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة» (متى ٢٤: ٧).

وهناك مفهوم آخر: لهذه الجملة إذ قد تعني الأرض هنا الطبقة السفلى من أهلها، بينما تعني الجبال كبار الناس؛ والمراد أنه في ذلك الزمن سينقسم العالم إلى معسكرين متنازعين فيخرج كبار الناس أي الدكتاتوريون من جهة، ومن جهة أخرى يخرج أهل الأرض أي حماة الديمقراطية وممثلو الشعوب. وسوف تحدث حرب طاحنة بين هذين المعسكرين.

أما قوله تعالى ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ فاعلم أن الحشر يعني جمع الناس وإيقافهم وجهاً لوجه، ومن معاني الحشر العسكر لأن الجنود أيضاً يقفون وجهاً لوجه.* فالمراد أننا سنجعلهم يحارب بعضهم بعضاً، وهكذا سنعاقبهم على سوء أعمالهم.

* قال الإمام الراغب: "الحشرُ إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها. ورؤي: "النساء لا يُحشَرْنَ" أي لا يُجرَّجْنَ للغزو" (المفردات). وورد في اللسان: "وفي الحديث أن وفد ثقيف اشتراطوا ألا يُعشروا ولا يُحشروا أي لا يُندبون إلى المغازي ولا تُضرب عليهم البعوث." (التقوى)

نتيجته التي ستظهر في الآخرة.

والمفهوم الثاني هو أن كلمة «ثواباً» تختص بصاحب العمل الحسن، أما كلمة «أماً» فتختص بأجياله القادمة.. والمعنى أن أعمالكم الصالحة ستأتي بنتائج مرضية لكم ولأولادكم أيضاً، لأن من سنة الله تعالى أنه ينفع الأولاد أيضاً بسبب آباءهم الصالحين.



﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٨)

شرح الكلمات:

بارزة: اسم فاعل للمؤنث من برز يبرز بروزاً أي خرج (الأقرب).

حشَرْنَا: حشَر الناس يحشُر حشراً: جمعهم. ويومُ الحشر: يومُ البعث

والمعاد، وهو مأخوذ من حَشَرَ القوم إذا جمعهم. والحاشر اسمٌ من أسماء نبي المسلمين

(الأقرب).

لم نغادر: غادره: تركه وأبقاه (الأقرب).

التفسير:

اعلم أن من معاني الجبل سيد القوم، ومعنى التسيير المشي بأحد (الأقرب). والجبال هنا تعني كبار القوم، لأن الحديث هنا يدور عن الناس لا عن الجبال والأنهار.

والمراد من الأرض هنا أهلها، لأن من أساليب اللغة العربية حذف المضاف أحياناً، ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ التي كُنَّا فيها والعير التي أقبَلْنَا فيها﴾ (يوسف: ٨٣).. أي

مِنْ نِسَائِمِ الرِّوَضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ

نَفَحَاتُ الْإِيمَانِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

عَنْ أَبِي صَالِحِ الزُّبَايْنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَالصِّيَامُ جَنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَصْخَبُ، فَإِنْ سَأَبَهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي أَمْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرِحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» (صحيح البخاري، كتاب الصوم)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ». (صحيح البخاري، كتاب الصوم)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتَحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَعُلِقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ». (صحيح مسلم، كتاب الصوم)

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ». (صحيح مسلم، كتاب الصوم)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ: «قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». (جامع الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ)

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. (صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف)

«فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الشَّلْحِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ». (الحديث)

هكذا تكلم النبي ﷺ في الصوم

من أسرار الصيام، وتسمية شهر "رمضان"

الصيام ثالث أركان الإسلام ويجهل ماهيته الكثيرون. أتى لإنسان أن يبين أحوال بلد لم يزره أو ظروف عالم لا يعرفه. ليس المراد من الصيام أن يبقى الإنسان جائعًا وعطشانًا بل له حقيقة وتأثير لا يتبين إلا بالتجربة. من فطرة الإنسان أنه كلما كان قليل الأكل كان أكثر حُظًا من تزكية النفس كما وتزداد فيه قوى الكشف. فالله تعالى يريد بالصيام أن نقلل من غذاء ونكثِر من غذاء آخر. يجب على الصائم أن يتذكر دائما أن الصوم لا يعني الجوع فقط، بل عليه أن يشتغل في ذكر الله تعالى حتى يتيسر له التبتل والانقطاع إليه عز وجل. فليس الصوم إلا أن يستبدل الإنسان بالغذاء الذي يساعد على نمو الجسم فقط غذاء آخر تشبع به الروح وتطمئن. والذين يصومون لله تعالى فقط ولا يصومون على سبيل التقليد فقط عليهم أن يشتغلوا في حمد الله وتسبيحه والتهليل لينالوا به الغذاء الآخر. (جريدة الحكم، ج ١١ عدد ٢ بتاريخ ١٧ يناير ١٩٠٧ ص ٩)

الرَّمْضُ يعني حرّ الشمس، وبما أن الإنسان يكفّ عن الأكل والشرب وغيرها من الملذات الجسدية من ناحية، ومن ناحية أخرى يخلق في نفسه حرارة وحماسًا للعمل بأحكام الله تعالى، فاجتمعت الحرارة الروحانية والحرارة الجسمانية وصارتا «رَمْضَانًا». أما ما يقوله علماء اللغة بأن رمضان جاء في شهر الحر ولذلك سمي رمضان، فلا أراه قولاً سليماً، إذ ليس في هذا خصوصيةً لبلاد العرب. المراد من الرمش الروحاني لوعة التوق والشوق والحرارة الدينية. (جريدة الحكم، ج ٥ عدد ٢٧ بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٠١)

الْقَوْلُ الصَّوَابُ فِي التَّوْفِيقِ بَيْنَ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَالْعَمَلِ بِالْأَسْبَابِ

خطبة الجمعة التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا
مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي
عليه السلام بتاريخ ١٦/٤/٢٠٢١ م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد
فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. آمين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ
كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى
الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ
خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ
رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ
الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ
كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي
عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١)

القضاء والفدية، السؤال المتكرر

بفضل الله تعالى تسنح لنا هذا العام فرصة شهود رمضان
آخر. وينبغي أن نتذكر أنه لا يكفي مجرد شهود الشهر
وحلوله علينا، ولا يحقق الهدف من الصيام مجرد التسحر
ومواصلة الإمساك عن الطعام نهاراً ثم الإفطار مساء، بل
أمرنا الله تعالى بإحداث تغييرات طيبة في أنفسنا من خلال
هذا الصيام. لقد وجه الله تعالى إلينا بعض الأحكام بصدد
الصيام وبشرنا بقربه واستجابته للأدعية نتيجة العمل بها.
ولقد تلوت بعض الآيات التي نبهنا الله تعالى فيها إلى
فرضية الصيام، كما أخبرنا فيها أنه إذا كان أحد مريضاً أو
لديه سبب مشروع لترك الصيام فعليه أن يكمل العدة في
أيام آخر، أو يؤدي الفدية إذا كان المرض مزمنًا ولا يستطيع
إكمال العدة لاحقاً، ولكن اعلما أنه عليه الفدية إن قدر

* العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية من إضافة أسرة «التقوى»



جزءاً من حياتكم وتقووا بها إيمانكم. فلاستجابة الدعاء شروط، إذا زينا بها دعواتنا وجدنا الله تعالى قريباً ومجيباً لدعواتنا.

سوف أقدم الآن بعض المقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام المتعلقة بأهمية الدعاء، وبشروط استجابته التي ينبغي أن نحسن بها حالتنا العملية، كما أقدم مما قال حضرته عليه السلام عن فلسفة الدعاء وعمقها.

لماذا لا يستجيب الله أدعية البعض؟!

يقوم الكثيرون منا بالدعاء بشكل سطحي ثم يقولون لم يستجب الله تعالى دعواتنا. وكأنهم يقصدون بذلك أنهم قالوا لله تعالى أن ينجز عملاً ما وكان ينبغي عليه أن ينجزه والعياذ بالله، يظنون وكأن الله تعالى يتقيد بأوامرهم

على أدائها حتى ولو استطاع إكمال العدة لاحقاً.

العلاقة الوثيقة بين الصيام والدعاء

ثم من خلال ذكر أهمية القرآن الكريم ونزوله أخبرنا الله تعالى أن تلاوته والعمل به مجلبة للهداية وتقوية للإيمان وذريعة لإقامة العلاقة مع الله تعالى، ولفهم تعليمه الذي أنزله. ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١). ولا يغيبن عن البال قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا في شهر رمضان أي يستجيب أدعية عباده كثيراً. ولكن الله تعالى قال بأنكم إذا أردتم أن أستجيب دعواتكم فلا بد أن تستجيبوا لي أيضاً، فاعملوا بأوامري التي وجهتها إليكم، وذلك ليس في رمضان فحسب بل لا بد أن تجعلوا تلك الحسنات

لو نشأت العلاقة الحقيقية والدائمة مع الله تعالى التي سعى لها الإنسان سعيه، لأدى ذلك إلى نزول فضل الله تعالى الذي يهبه قوة على الدوام لتجنب السيئات، وإلى جانب ذلك توهب للإنسان قوة على كسب الحسنات على الدوام أيضا. فإن لم يبلغ الإنسان هذه الحال، لا يسعه القول بأنه نال قرب الله تعالى. فلا يمكن أن يكون الإنسان عابداً حقيقياً ما لم يفكر على هذا النحو وما لم يعمل وفق هذا المنهج. وينبغي علينا السعي لتحقيق هذا الأمر في شهر رمضان.

بكلمات أخرى. من تيسرت له هذه الحالة فاعلموا أن باب الإجابة يُفتح له ويوهب قوة وفضلا واستقامة خاصة لاجتناب السيئات والثبات على الحسنات. هذه هي الوسيلة الأقوى»^(٣). هذا هو طريق الدعاء وطريق نيل قرب الله تعالى واستجابة الدعاء والتطهر من الآثام.

كيف يمكننا معرفة ما إذا كانت ذنوبنا قد غُفرت ورضي الله تعالى عنها؟

هذا السؤال، كثيرا ما يُطرح عموماً، ولقد أجاب عليه المسيح الموعود عليه السلام ذاكراً قاعدة هامة بهذا الخصوص، وهي أنه لو نشأت العلاقة الحقيقية والدائمة مع الله تعالى التي سعى لها الإنسان سعيه، لأدى ذلك إلى نزول فضل الله تعالى الذي يهبه قوة على الدوام لتجنب السيئات، وإلى جانب ذلك توهب للإنسان قوة على كسب الحسنات على الدوام أيضا. فإن لم يبلغ الإنسان هذه الحال، لا يسعه القول بأنه نال قرب الله تعالى. فلا يمكن أن يكون الإنسان عابداً حقيقياً ما لم يفكر على هذا النحو وما لم يعمل وفق هذا المنهج. وينبغي علينا السعي لتحقيق هذا

وعليه أن ينفذ ما أرادوا وكيفما يريدون مهما كانت أعمالهم سيئة أو حسنة، والعباد بالله. لقد قطع الله تعالى بأنه لن يتحقق ما ييغون. بل ينبغي أن يستجيبوا له أولاً وينبغي أن يجعلوا أعمالهم متوافقة مع التعليم القرآني. وبما أن الجو يكون مشحوناً بالأعمال الصالحة والدروس وغيرها في رمضان، فعليكم بالتدبر في وصاياي وأحكامي والاستماع لها والعمل بها. وعليكم بحاسبة أنفسكم لتعرفوا مدى قوة إيمانكم، ولتدركوا ما إذا كان سيتزلزل عند تعرضكم للابتلاء أم لا.

على أية حال، إنه لموضوع ينبغي للعبد أن يخطو فيه أولاً. فإذا وصل العبد في سعيه إلى الذروة فارت له رحمة الله وشفقته وجاش له فضل من الله تعالى. لا بد لنا من استيعاب هذا الأمر. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

«الدعاء مفخرة خاصة بالإسلام، والمسلمون يعتزون به كثيرا. ولكن اعلّموا أن الدعاء لا يعني ثرثرة اللسان فقط. بل المراد منه أن يمتلئ القلب بخشية الله تعالى، وتخر روح الداعي على عتبات الله وتسيل كالماء وتلتمس من الله القوي المقتدر قوةً ومغفرةً وقدرةً للتغلب على نقاط ضعفها وزلاتها. يمكن التعبير عن هذه الحالة بالموت

الأمر في شهر رمضان.

كما ذكرت أنني سأقدم بعض الأمور المتعلقة بالدعاء من كلام المسيح الموعود عليه السلام. فقد قال عليه السلام شارحاً قضية استجابة الدعاء:

«إن استجابة الدعاء في الحقيقة فرع لقضية الدعاء. ومن المسلم به أن الذي لا يفهم الأصل يواجه تعقيدات في فهم الفرع ويخطئ في كل خطوة. لفهم شيء من الأشياء لا بد من فهم أساسه أولاً، فما لم يفهم الإنسان القواعد الأساسية لشيء ما لا يمكنه استيعاب نكات أخرى وشروحيها وتوضيحاتها. قال حضرته: إن

ماهية الدعاء هي أن هناك علاقة

تجاذب بين العبد السعيد وربّه،

بمعنى أن رحمانية الله تعالى

تجذب العبد إليها أولاً

ثم يتقرب الله تعالى إلى

العبد نتيجة مساع

صادقة من العبد.

(فإن كان العبد يبذل

مساعيه بصدق القلب فإن الله

تعالى يتقرب إليه) وفي أثناء الدعاء تبلغ تلك العلاقة مبلغاً خاصاً وتُظهر خواصّها العجيبة. فبعد التعرض لمصيبة شديدة حين يخضع العبد لله تعالى باليقين الكامل والأمل الكامل والحب الكامل والإخلاص الكامل والعزيمة الكاملة، ويتيقظ إلى أقصى الحدود ويتقدم في مجالات الفناء ممزقاً حُجُب الغفلة فإذا به أمام عتبات الله الذي لا شريك له.

عندها تضع روحه رأسها على عتباته تعالى. (أي يغيب كل شيء فلا يرى إلا الله في كل حذب وصوب، ولا تبقى للدنيا ولأشوائها أية حقيقة في نظره، فلما يحظى بهذه الحالة ويرى الله تعالى تحرّ روحه ساجدة على عتبة الله

تعالى) وقوة الجذب المودعة فيه تجذب أَلطاف الله تعالى. (هناك قوة الجذب في الإنسان أيضاً وهي تجذب عنايات الله تعالى وأفضاله) وعندها يتوجه الله تعالى إلى إتمام أمر العبد ويلقي بتأثير الدعاء على الأسباب المبدئية التي تؤدي إلى خلق أسباب ضرورية أخرى لنيل ذلك المطلوب. فمثلاً إذا دعا لنزول المطر نشأت بتأثير الدعاء بعد استجابته أسباب طبيعية ضرورية لنزول المطر، وإذا كان الدعاء على قوم لحلّول القحط بهم خلق الله القادر على كل شيء أسباباً مخالفة لنزول المطر»^(٤).

ثم قال حضرته عليه السلام:

«وآلاف المعجزات التي ظهرت على أيدي

الأنبياء أو الكرامات العجيبة التي أظهرها

أولياء الله منذ القدم كان مصدرها

الحقيقي هو الدعاء وحده. إن

أنواع الخوارق التي تُرى تجليات

قدرة الله القادر على كل شيء

تكون نتيجة تأثير الدعاء في

معظم الأحيان»^(٥).

إن القرآن الكريم يفيض بالنبوءات،

ونرى أن كثيراً من النبوءات قد تحققت في زمن المسيح

الموعود عليه السلام، كما نرى أن كثيراً من الصلحاء يرون رؤى

صالحة تتحقق، ويظهر تأثير الأدعية أيضاً، ولكن لا

يحصل كل هذا إلا إذا خضع الإنسان لله تعالى مخلصاً له.

شهر يفتح فيه باب الجهاد. ولكن، أي جهاد؟!

يقول المسيح الموعود عليه السلام شارحاً أمر الدعاء أكثر:

يقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

^(٦)، أي أن الذين يجاهدون في سبيلنا سوف نهديهم إليها.

(فلا بد للعبد أولاً أن يقوم بالمجاهدة، فعليكم بالمجاهدة

أولاً) فهذا وعد من الله تعالى، وهناك دعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، (فلقد وعد الله تعالى بأنكم إذا جاهدتم في سبيلي فسأرشدكم إليها. ومن ناحية أخرى هناك عَلَّمْنَا دعاء (اهدنا الصراط المستقيم). فعلى المرء أن يقوم يدعو متضرعا بإلحاح آخذاً في الحسبان هذا الوعد، ويتمنى أن يدخل في الذين قد حازوا الرقي والبصيرة، لئلا يرحل من هذه الدنيا أعمى عديم البصيرة، فإن الله تعالى يقول ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (أي أعمى روحانياً، فالذي هو غارق في هذه الدنيا ولم يحرز معرفة الله ولم يدرك حكمة الدعاء، وتأثيره، فليس في وسعه الفوز بقرب الله حتى في العالم الآخر أيضاً). يجب الاستعداد للآخرة في هذه الدنيا، فاهتموا بذلك. وهذا يعني أن لمشاهدة ذلك العالم علينا أن نأخذ أعيننا من هذا العالم، (إذا كنا نريد أن نبصر ذلك العالم الذي نفوز فيه بقرب الله فعلياً أن نأخذ معنا أعيننا من أجل ذلك من هذا العالم) ويجب في هذا العالم إعداد الحواس المناسبة لإدراك عالم الآخرة. أَوْجُوزُ الظن أن الله يقطع معنا وعداً ثم لا يفنيه.

فالأعمى هنا هو من لا حظ له من المعارف الروحانية واللذات الروحانية. فمن وُلد في بيت مسلم يسمى بسبب تقليده الأعمى مسلماً (أي إيمانه وتقليده واتباعه أعمى فقط لكونه قد ولد ببيت مسلم إذ لا يحرز أي عمل شخصياً). وبالمثل إذا ولد شخص آخر في بيت مسيحي، فصار مسيحياً. وهذا هو السبب وراء كون هذا الإنسان لا يكن لله ولا للرسول ولا للقرآن الكريم أي احترام. إن حبه للدين أيضاً جدير بالاعتراض. إنه يعيش بين المسيئين إلى الله ورسوله، وليس سببه إلا أنه لا يملك عيوناً روحانية، ولا يكنُّ للدين حبا، وإلا فمتى يجب المحب شيئاً ضد محبوبه.

الله تعالى مستعد للعطاء ما دمنا مستعدين للتلقي! باختصار. لقد أكد لنا الله تعالى أنه مستعد ليعطينا إذا كنا مستعدين للتلقي. فالقيام بهذا الدعاء هو الاستعداد لتلقي هذه الهداية.

إذن أدعوا الله ﷻ كثيراً في هذه الأيام «اهدنا الصراط المستقيم». نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ويطهر قلوبنا ويجعلنا عابدين حقيقيين، ويوقفنا لأداء حقوق عباده أيضاً، لئلا نكون مثل المتشددين المتطرفين في العصر الراهن، حيث تمارس المظالم باسم الله ورسوله. نسأل الله ﷻ أن يحمي كل إنسان من شر هؤلاء الظالمين. بعض الناس يقولون إنا أذنبنا كثيراً فلن يغفر الله لنا، ثم يسألون إلى أي حد من الذنوب يمكن أن تُغفر، ثم يتمادون في الذنوب أكثر ظناً منهم بأنه لن يُغفر لهم. إنما الشيطان في الحقيقة يخلق هذه الوسوسة في قلوبهم، ويستخدم أجهزته لإبعادهم عن الله، وهم يصبحون لعبة في يديه.

أما نحن فقد عَلَّمْنَا المسيح الموعود ﷺ الطريق لاتقاء هجمات الشيطان هذه والتخلص من فخه، قائلاً يجب ألا يمتنع المذنب عن الدعاء نظراً إلى كثرة ذنوبه. فقال إن الدعاء ترياق. فسوف يرى الإنسان إثر الدعاء كم يكره الذنوب، والدعاء هو علاج لاتقاء الذنوب. عندما تدعون الله بصبر وانتظام فسوف ترون أنكم بدأتُمْ تكَرَهُونَ الذنوب، وسوف يفر الشيطان. فالذين هم منغمسون في المعاصي ويقنطون من قبول الدعاء ولا ينصرفون إلى التوبة، ينتهي بهم المطاف إلى إنكار الأنبياء وتأثيراتهم ثم يبتعدون عن الدين، وأخيراً يصلون تدريجاً إلى الإلحاد. فالإسلام يخلق الأمل لمثل هؤلاء الغارقين في الذنوب أيضاً، وشهر رمضان هذا يتيح فرصة ليعلمنا كيف نتوب من الذنوب، فالله ﷻ يخلق لنا هذه الأجواء كل سنة، لذا يجب الاستفادة من هذا الشهر.

يجب ألا يمتنع المذنب عن الدعاء نظراً إلى كثرة ذنوبه. فقال إن الدعاء تريقاق. فسوف يرى الإنسان إثر الدعاء كم يكره الذنوب، فالدعاء هو علاج لاتقاء الذنوب. عندما تدعون الله بصبر وانتظام فسوف ترون أنكم بدأتكم تكرهون الذنوب، وسوف يفر الشيطان.

وحرقتها الحقيقية له، أن يأخذ هذه الجذوة ويحرق بها يده، أو أن يمسك بسكين حادة ويحرق بها يده؟ كلا. من هنا تستطيعون أن تفهموا مبدأ إجابة الدعاء. وإني صاحب خبرة في هذا المجال، فحين يسأل الله الداعي ما يضره، فلا يُجاب الدعاء أبداً. (أي لا أقول إن كل دعاء لي قد أجيب، فالله ﷻ أعلم وهو عالم الغيب فحين يرى في دعائي أمراً ضاراً لا يجيبه) يمكننا أن ندرك جيداً أن علمنا ليس يقينياً ولا صحيحاً، فهناك أمور كثيرة نقوم بها مسرورين باعتبارها مباركة، ونظن أن عاقبتها تكون مباركة جداً، ولكنها تتحول في نهاية المطاف إلى همٍّ ومصيبة ملازمة لنا. (نجد الأمثلة على ذلك كثيرا اليوم أيضاً، فقد لاحظت في البريد اليومي حيث يكتب الناس أنهم دعوا لأمر ما ثم بذلوا الجهود لإنجازه زعماً منهم أنه جيد لكنه لم يؤدي إلى نتائج مرجوة. ثم يشتكون الله أنهم كانوا قد بدأوا هذا العمل بعد الدعاء الكثير وإخراج الصدقة، ومع ذلك لم تظهر منه نتائج جيدة أو مع ذلك لم يُتَقَبَلْ دعاؤهم. فأقول يجب أن ينظروا أولاً هل كانوا قد أوصلوا الدعاء إلى الدرجة المطلوبة النهائية، وهل أنشأوا مع الله صلة كما يجب؟ وإذا كان جوابهم بالنفي فكل هذه الأمور هي كما قال المسيح الموعود مجرد دعاوى فارغة. أما إذا كانوا قد أوصلوا الدعاء إلى النهاية ثم ردَّ الله تعالى أو لم

يقول حضرته ﷺ بيانا لإلهام له: لقد وعدني مولاي الكريم ﷺ صراحةً وقال «أجيب كل دعائك»^(٧). غير أنني أدرك جيداً أن لفظ «كل دعائك» يعني كل دعاء يؤدي عدم استجابته إلى الضرر، أما إذا أراد الله تعالى تربية المرء وإصلاحه فيصبح رد دعائه هو الإجابة. فأحيانا تخيب آمال المرء في دعاء معين ويظن أن الله تعالى قد رفض دعائه، مع أنه تعالى يكون قد أجاب دعائه وتكون الإجابة بصورة الرفض، لأن خيره يكون كامناً في رفضه في الواقع. لما كان الإنسان قصير النظر ولا يفكر بعيداً، بل يتمسك بظواهر الأمور، فالأولى به أنه إذا دعا الله تعالى ولم يأت الدعاء بنتيجة مرضية، فعليه ألا يسيء الظن بالله تعالى فيقول بأنه لم يسمع دعائي، فإن الله تعالى يسمع دعاء الجميع إذ يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٨)، والسر في عدم استجابة الدعاء أحيانا هو أن الخير والبركة يكون كامناً للداعي في رد دعائه.

ثم وضح ذلك قائلاً:

إنما قاعدة الدعاء أن الله تعالى لا يكون تابِعاً لرغبة الداعي وآماله. تعلمون كم تحب الأمهات أولادهن، ولا يردن أن يصابوا بأي أذى، لكن الولد إذا أصر على أمر خاطئ، فطلب مثلاً من أمه باكياً سكيناً حادة أو جذوة ملتتهبة من النار، فهل تسمح له أمه، مع حبها الصادق

الحق والحق أقول إن الذي لا يقوم بالعمل فإنه لا يقوم بالدعاء بل يختبر الله تعالى، لذا فلا بد من استنفاد جميع القوى والقدرات قبل الدعاء، وهذا هو معنى هذا الدعاء. فلزام على المرء أن يفحص معتقده وأعماله قبل الدعاء، لأن من سنة الله أن الإصلاح يتم بالأسباب، حيث يخلق الله سبباً ما يؤدي إلى الإصلاح



هذا القبيل، لأن رحمته تقتضي ألا يترك عباده يتضررون هكذا.)

قال عليه السلام: «إنه لمن الحقائق الثابتة اليقينية أن الله تعالى يجيب أدعية عباده ويشرفها بالقبول، لكنه لا يقبل كل رطب ويابس من الأدعية، لأن الإنسان لا يبرح يدعو غير ناظر إلى العواقب من فرط حماس نفسه، ولكن الله الذي هو ناصح حقيقي وعالم بالعواقب، يرفض دعاء الداعي الذي يجلب قبول دعائه أضراراً وعواقب وخيمة له، ويكون رفض دعائه هو قبوله. (هذا هو مبدأ الله تعالى لمقربيه عليه السلام) فالله تعالى يستجيب دعاء العبد ما دام قبوله سيحفظه من الآفات والصدمات، أما دعاؤه الذي فيه ضرر فيقبله الله تعالى برفضه.

لقد تلقيت الوحي التالي مراراً: «أجيب كل دعائك»، وبتعبير آخر، إن كل دعاء هو نافع ومفيد سوف يجاب. (هذا شرح المسيح الموعود عليه السلام أن كل دعاء نافع سيُقبل) عندما أفكر في هذا الأمر تمتلئ بروحي لذة وسرورا. عندما تلقيت هذا الوحي أول الأمر، وذلك قبل قرابة ٢٥ أو ٣٠ عاماً، فرحت فرحة كبيرة بأن الله تعالى سيستجيب أدعيتي لي ولأحبابي حتماً، ثم فكرت أنه لا ينبغي لي أن أكون بخيلاً في هذا الأمر، فإنها نعمة ربانية، وقد قال الله تعالى في وصف المتقين ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾،

تظهر له نتائج مرجوة فإن في ذلك حكمة الله وفيه كانت تكمن منفعة الإنسان. أما إذا كان المرء يصر على أمر لخطئه فعليه أن يستغفر الله بدلا من أن يشتكيه، ويقول إنه كان خاطئاً في إصراره على أمر لم يكن نافعاً له. فبعضهم دعوا الله قائلين ربنا إذا كان هذا الأمر خيراً لنا فتقبل دعاءنا وإن لم يكن فيه خير لنا فتقبله أيضاً. هذا ما حدث في بعض الزيجات أيضاً، حيث تقبل الله الدعاء وحصل زواج الداعي ممن كان يريد لها، وبعد مدة قصيرة حصل الطلاق. إذن يجب ألا يدعو المرء بهذه الصيغة، فالله عليه السلام أحياناً يتقبل مثل هذه الأدعية التي لا يكون فيها خير للداعي وذلك لتلقيين الإنسان الدرس. وحين تظهر النتيجة يستغفر الله تائباً.)

الدعاء المستجاب، وشروط الاستجابة

قصارى القول في موضوع استجابة الدعاء، أننا لا نستطيع القول بأن كل ما يرغب فيه المرء هو خير له، كلا، بل الإنسان مركب من عرضة للسهو والنسيان، لذا من المحتمل أن يكون بعض ما يريده ضاراً، وهذا هو الحق، ولو قبل الله دعاءه كما هو، لتعارض هذا مع رحمته سبحانه وتعالى تعارضاً صارخاً. (أي إذا كان العبد حبيب الله ومخلصاً له فهو عليه السلام لا يجيب دعاءه من

ولذلك فإن دأبي أن أدعو لأحبابي بخير الدنيا والآخرة دوماً، سواء ذكروني بذلك أم لا، وسواء عرضوا عليّ أمراً خطيراً أم لا.

ثم قال المسيح الموعود عليه السلام وهو يبين شروط استجابة الدعاء:

يجب الانتباه جيداً إلى أن هناك شروطاً لاستجابة الدعاء، منها ما يتعلق بالداعي ومنها ما يتعلق بطالب الدعاء من غيره. فأما طالب الدعاء فلا بد له أن يتقي الله ويخشاه، (هذا أيضاً مهم للغاية أن طالب الدعاء أيضاً يجب أن يخشى الله تعالى دوماً ويتذكر أن الله غني فلا بد له أن يتقي الله ويخشاه) ويخاف دائماً غني الله تعالى، ويتخذ الصلح وعبادة الله شعاراً له، ويُرضي الله

بالتقوى والصدق، ولو فعل ذلك

لُفُتِحَ له باب استجابة الدعاء. (إذا

حققت هذه الشروط كلها فتح الله

له باب استجابة الدعاء) أما

إذا كان يُسَخِّطُ الله تعالى

ويفسد صلته به ويجاربه،

(ولا يعمل بأحكامه تعالى

ولا يؤدي حقوقه وحقوق خلقه

تعالى) فإن شروره وسيئاته تقف في

طريق إجابة الدعاء سداً منيعاً وصخرة

كأداء، ويغلق عليه باب استجابة الدعاء. (أي لا

تُقبَلُ أدعيته كما لا تقبل في حقه أدعية مَنْ يطلب منه

الدعاء، قال عليه السلام) لذا فعلى أحبابنا أن يحرموا أدعيتنا

من الضياع، ولا يعرفوا طريقها بتصرفاتهم غير اللائقة.

(إذا كانت أعمالكم غير صالحة فلن تُقبَلُ أدعيتي في

حقكم وستكون أعمالكم عاتقاً دون قبولها).

ثم من الضروري لقبول الدعاء أن يكون الإنسان قوي

الإيمان أيضاً، وهذا أيضاً من الشروط الأساسية، وكذلك يجب أن يكون عمله صالحاً، وقد مضى ذكر العمل الصالح من قبل أيضاً كما قال الله تعالى: فليستجيبوا لي. لذلك فإن الاستجابة لأوامر الله تعالى والعمل بها من الأمور الأساسية التي هي ضرورة لقبول الدعاء. قال المسيح الموعود عليه السلام شارحاً هذا الأمر:

"الحق والحق أقول إن الذي لا يقوم بالعمل فإنه لا يقوم بالدعاء بل يختبر الله تعالى، لذا فلا بد من استفاد جميع القوى والقدرات قبل الدعاء، وهذا هو معنى هذا الدعاء. فلزام على المرء أن يفحص معتقده وأعماله قبل الدعاء، لأن من سنة الله أن الإصلاح يتم بالأسباب، حيث يخلق الله سبباً ما

يؤدي إلى الإصلاح. (وإذا سعيتم

لإصلاح أنفسكم أصلحتموها،

وإذا كنتم تدعون الله تعالى

بقلب صادق خلق الله سبباً

للاصلاح.) والذين يقولون

ما الحاجة إلى الأسباب مع

الدعاء؟ عليهم أن يتوقفوا هنا

على وجه الخصوص وقفة تأملية.

يجب أن يفكر هؤلاء الأغبياء أن

الدعاء بحد ذاته سبب خفي يؤدي إلى

أسباب أخرى، (وقد قُدمت جملة (إياك نعبد) على

جملة (إياك نستعين) -وهي جملة دعاء- شرحاً لهذا

المعنى خاصة.)

باختصار، إن سنة الله التي نراها دوماً أنه يخلق الأسباب،

فيهِبُ الماء لإزالة الظمأ والظعام لسد الجوع ولكن من

خلال الأسباب. (ولا يحدث أن ينطفئ الظمأ بلا سبب

ولا يزول الجوع بعملية سحر بل لا بد من أسباب تهيء



عندما يبكي الرضيع ويصرخ طلباً للبن من شدة الجوع، يتدفق اللبن في ثدي الأم. لا يعرف الطفل حتى اسم الدعاء، ولكن كيف تستدرّ صرخاته اللبن. هذا ما جرّبه الجميع. فقد لوحظ في بعض الأحيان أن الأم لا تشعر بوجود اللبن في ثديها، ولكن صرخة الرضيع تجلبه تلقائياً. أفلا تقدر صرخاتنا أمام الله تعالى أن تجلب شيئاً؟ كلا، بل تجلب وتجلب كل شيء، ولكن العميان الذين يدعون أنهم علماء وفلاسفة لا يقدرّون على أن يروا ذلك.

الموعود عليه السلام إنها عجائب قدرة الله ولم يخلقها الله تعالى إلا ليعلم الإنسان أن لكل شيء هدفاً وغاية. ثم قال عليه السلام: فلينتهجوا سبيل التقوى، فإن التقوى هي الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُعدّ ملخص الشريعة. فلو أردنا بيان الشريعة بإيجاز، فليس لبّ الشريعة إلا التقوى. وللتقوى مدارج ومراتب كثيرة، ولكن لو تحطّى الإنسان المراحل الابتدائية بمثابرة وإخلاص طالباً بصدق، لارتقى إلى المدارج العليا نتيجة إخلاصه وطلبه الصادق. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٨)، أي أنه تعالى لا يجيب إلا دعوات المتقين. وكأن هذا وعد من الله تعالى، والله لا يخلف الميعاد كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد: ١٠). فما دامت التقوى شرطاً لازماً لاستجابة الدعاء، فهل من شك في حماقة وسفاهة إنسان يريد استجابة دعائه مع عيشه عيشة الغفلة والانحراف؟ فعلى جماعتنا أن يبذل كل فرد منها قصارى جهده لسلك سبيل التقوى، لكي ينال لذة استجابة الدعاء ومتعتها، ويزداد إيماناً.

استجابة الدعاء رحمة، فمن يُستجاب له؟!

يقول المسيح الموعود عليه السلام في معرض بيانه أنواع الرُحْم:

الماء والطعام) فسلسلة الأسباب هذه مستمرة على هذا النحو، وتخلق الأسباب حتماً، لأن الله تعالى اسمين... كما قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. والعزير هو من يفعل ما يشاء، والحكيم هو من يكون فعله في محله الملائم والمناسب لحكمة ما. فمثلاً، تجدون في النباتات والجمادات أنواع الخواص، فتناول مقدار ضئيل جداً من التبريد أو السقمونيا يسبب الإسهال. إن الله قادر على أن يجعل بطن المرء يجري بدون سبب، أو يقطع عطشه بدون الماء، (إن الله يملك قدرة على أن يفتح البطن ويطفئ الظمأ بدون الماء) ولكن كشف عجائب قدرته للإنسان كان ضرورياً، (الأشياء التي خلقها الله تعالى لها عجائب قدرها الله تعالى فيها وكان ضرورياً أن يُعلم الإنسان إياها) لأنه كلما ازداد معرفةً بعجائب قدرة الله أطلع على صفات الله أكثر، مما يساعده على التقرب إلى الله تعالى. علم الطب والهيئة مثلاً يكشف الكثير من خواص الأشياء.

لو نظر الإنسان بعين روحانية في هذه الأشياء التي خلقت وإذا تأملها عالم مؤمن بوحدانية الله وجد دليلاً على وجود الله تعالى على كل اكتشاف، وازداد إيماناً ولكن الملحد يسميه صدفة، على أية حال قال المسيح

الجميع. فقد لوحظ في بعض الأحيان أن الأم لا تشعر بوجود اللبن في ثديها، ولكن صرخة الرضيع تجلبه تلقائياً. أفلا تقدر صرخاتنا أمام الله تعالى إذن أن تجلب شيئاً؟ كلا، بل تجلب وتجلب كل شيء، ولكن العميان الذين يدعون أنهم علماء وفلاسفة لا يقدرّون على أن يروا ذلك. لو فكر الإنسان في فلسفة الدعاء واضعاً في الحسبان ما بين الطفل والأم من علاقة، لفهم الموضوع بمنتهى السهولة. والقسم الثاني من الرُّحْم يعلم أن هناك رحماً ينشأ بعد السؤال، فلو تأثرتم على السؤال لوجدتم. إن قول الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ليس كلاماً فارغاً، بل هو ما يوافق الفطرة البشرية.

ثم وضع المسيح الموعود عليه السلام أن السؤال من صفات الإنسان والاستجابة فعل الله فقال: إن السؤال خاصية الإنسان والاستجابة صفة الله، والذي لا يفهم ذلك ولا يؤمن به فهو كاذب. إن مثل الطفل الذي يبتته أنفاً يبين فلسفة الدعاء جيداً. الرحمانية والرحيمية ليستا شيئين مختلفين، لذا فمن ترك إحداهما وأراد الأخرى فلن يجد شيئاً. إن من مقتضى الرحمانية أن تجعلنا قادرين



على الانتفاع من فيوض الرحيمية. (أي أن رحمانية الله تعالى هي أنه أَرانا السبل وأعطانا أشياء نحتاج إليها، وخلق فينا قدرة على أن نسأله ما نحتاج إليه. فالرحمانية تخلق الوسائل التي تساعدنا على الدعاء والحصول على رحمة الله) يتابع عليه السلام قائلاً: ومن لم يفعل ذلك فهو كافر نعمة. إنما

اعلموا أن الرُّحْم نوعان: أحدهما يسمى الرحمانية والآخر الرحيمية. والرحمانية فيض بدأ حتى قبل أن نُخلق ونوجد، فمثلاً لقد خلق الله في البداية بناء على علمه الأزلي هذه الأرض والسماء وما فيهما من أشياء كلها نافعة ومفيدة لنا، والإنسان هو الذي ينتفع منها كلها على وجه العموم، فما دامت الخراف والماعز وغيرها من الحيوانات نافعة للإنسان فماذا عسى أن نتفع من هذه الأشياء؟

تروى في الأمور الجسمانية كيف أن الإنسان يأكل كل ما لذ وطاب من الأغذية، فيأكل اللحم الجيد من الحيوان، ويبقى الرديء منه والعظام للكلاب. لا شك أن الحيوانات تشارك الإنسان فيما هو متيسر له من المتع واللذات الجسمانية، إلا أن الإنسان أكثر حظاً منها، أما المتع الروحانية فلا تشاركه فيها الحيوانات. باختصار، هناك نوعان من الرحمة، أولهما ما خلقه الله تعالى حتى قبل وجودنا كمقدمة وتوطئة من أشياء من عناصر وغيرها، وهي مسخرة لنا، ومخلوقة بمقتضى رحمانية الله قبل وجودنا ورغبتنا ودعائنا. والنوع الآخر من الرحمة هو الرحيمية، بمعنى أننا حين ندعو الله تعالى فإنه يعطينا

سؤلنا. والتدبير يكشف أن علاقة القانون الطبيعي هو علاقة الدعاء دوماً. إن البعض يعتبره اليوم بدعة، لذا أود أن أبين علاقة دعائنا بالله تعالى. عندما يبكي الرضيع ويصرخ للحليب من شدة الجوع، يتدفق اللبن في ثدي الأم. لا يعرف الطفل حتى اسم الدعاء، ولكن كيف تستدرّ صرخاته اللبن. هذا ما جرّبه

المراد من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هو أننا نعبدك وحدك مع مراعاة الأسباب المادية التي وهبتنا. خذوا اللسان المخلوق من عروق وأعصاب مثلاً. (أي اللسان يتكون من الأعصاب واللحيا والأوردة فكلها جزء من اللسان)، فلو لم يكن الأمر هكذا لما قدرنا على الكلام. (وإن لم تكن أعصابه وشرايينه رطبة يجف اللسان، وإذا جف اللسان فلا يقدر الإنسان على الكلام، ولكن الله تعالى قدر أن تيسر الرطوبة للسان في كل حين وآن، وإن لم يكن الأمر كذلك لما قدر الإنسان على تحريك اللسان)

يقول عليه السلام: لقد رزقنا للدعاء لساناً قادراً على التعبير عما يختلج في قلوبنا من أفكار. (أي أعطانا لساناً للتعبير عما في قلوبنا) فلو لم نستخدم اللسان للدعاء قط فهذه شقاوتنا. هناك أمراض كثيرة لو أصابت اللسان لتعطل دفعة واحدة وصار الإنسان أبكم. فمن عظيم رحمة الله علينا أنه قد منحنا اللسان (كذلك الحال بالنسبة إلى الأذان، فقد أعطانا اللسان والأذان بمقتضى الرحمانية، ثم علمنا أيضاً استخدام هذه الحواس، وذلك أيضاً نتيجة الرحمانية). كذلك لو حصل خلل في الأذن لا نستطيع أن نسمع شيئاً. والحال نفسها مع القلب؛ فلو أصابه المرض لفسد كل ما خلق الله تعالى فيه من قوة الخشوع والخضوع والتفكير والتدبر. انظروا إلى المجانين كيف تبطل قواهم. إذًا، أفليس واجبا علينا أن نقدر هذه النعمة الإلهية حق قدرها؟ لو تركنا هذه القوى التي أعطانا الله بكمال فضله عاطلةً، فلا ريب أننا نكون ناكري نعمة الله. فاعلموا أننا إذا دعونا الله بتعطيل ما حوّلنا الله من قوى وقدرات فلن ينفعنا الدعاء شيئاً، إذ لم نستفد من العطية الإلهية الأولى فأنى لنا أن ننتفع من الأخرى؟

حال الاضطراب شرط جوهرى لاستجابة الدعاء

لقد وضح المسيح الموعود عليه السلام بضره هذه الأمثلة ونصح أن عليكم أن تقدروا نعم الله تعالى وتستخدموها كما هو حقها. فاسألوا أن يوفقكم لإحسان استخدامها، عندها فقط يمكن للعبد أن يؤدي حق عبوديته ويستطيع أن يشكر نعمه التي أعطاه. والمعلوم أن شكر الإنسان يجذب أفضال الله أكثر، وينال نصيبه من رحمانية الله ورحيميته، ثم يرى مشاهد استجابة دعائه. ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام شارحاً هذا الموضوع أكثر: يتبين من «إياك نعبد»: يا ربنا، لم نضيع عطيتك الأولى. وقال عليه السلام في ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أن على الإنسان أن يسأل الله تعالى بصيرة صادقة لأنه إن لم يمسه فضل الله ولطفه باليد لظل الإنسان عاجز واقعا في الظلمة ولما قدر حتى على الدعاء. (إن فضل الله تعالى هو الذي يرشده وينصره وإلا فالإنسان عاجز وواقع في مشاغل دنيوية ولا يجد فرصة للدعاء ما لم يدع مستخدماً فضل الله تعالى الذي ناله ببركة رحمانيته، وإلا لن تظهر نتيجة مرضية. ولا بد للإنسان من الدعاء للخروج من الظلمة).

يقول حضرته عليه السلام: قبل فترة قرأت في قانون إنجليزي أنه لا بد للفلاح من عرض ممتلكاته من أجل الحصول على قرض للزراعة.

(وفي هذه البلاد أيضاً يضطر المرء إلى عرض ما يملكه من المال، أو تقديم ضمان للحصول على الرهن العقاري من الحكومة، أي لا بد له من إبداء بعض من ماله وممتلكاته الأخرى عملياً)

كذلك يجب أن تفكروا في قانون الطبيعة وفكروا ماذا استفدنا مما أعطينا من قبل، وإن لم تزلوا ولم ترتكبوا الحماق والغباوة مع امتلاككم العقل والفتنة والعين والأذنين فادعوا الله تعالى وستنالون بركات أكثر. فإن لم

تجعلنا أهلاً لاكتساب فيوض الرحمانية، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: «ادعوني أستجب لكم»، وهذه ليست مجرد كلمات فارغة، بل هي مقتضى الشرف الإنساني. الدعاء صفة الإنسان والاستجابة صفة الله تعالى، والذي لا يؤمن بذلك فهو ظالم، (أي أن الذي لا يسأل الله تعالى فهو ظالم) إن الدعاء حالة نشوة لا أستطيع وصف سرورها ولذتها للعالمين بالكلمات، إنما يدرك هذا بالتجربة فقط.

باختصار، إن أول لوازم الدعاء الأعمال الصالحة والمعتقد السليم، لأن الذي يدعو الله تعالى بدون أن يصلح معتقداته وبدون أن يعمل الصالحات، فكأنما يختبر الله تعالى. فالمقصود بدعائنا: «اهدنا الصراط المستقيم» هو أن اجعل أعمالنا أكمل وأتم.

ويتبين الأمر أكثر بقوله تعالى: «صراط

الذين أنعمت عليهم»، أي أننا

نريد الاهتداء إلى الصراط الذي

هو صراط المنعم عليهم، وأنقذنا

من صراط المغضوب عليهم

الذين نزل بهم العذاب نتيجة

سوء أعمالهم. وبقوله: «الضالين»

علمنا دعاء أن نجنا أيضاً من أن

نضل بجرماننا من حمايتك. فعندما نقرأ

سورة الفاتحة علينا التدبر فيها من هذا المنظور،

والدعاء على هذا المنوال.

ثم يقول ﷺ أيضاً وهو يؤكد ضرورة الأخذ بالأسباب عند الدعاء:

ألا اسمعوا، إن هذه الروح الصادقة مطلوبة للدعاء الذي قال

الله تعالى عنه: «ادعوني أستجب لكم». فإذا خلا التضرع

والخشوع من روح الصدق فالأمر لا يعدو ترديد الكلمات

كالبيغاء.

يضل الإنسان مع أن الله تعالى أعطاه النعم المذكورة كلها فليدع الله ليزيدكم فضلاً ونعماً وإلا سيحالفه الحرمان والشقاوة. فعلينا أن نفكر في هذا الأمر جيداً.

ثم يقول ﷺ: إن نظائر استجابة الدعاء موجودة في نواميس القدرة، وفي كل زمان يرسل الله نماذج حية لذلك، ومن أجل ذلك علم دعاء ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هذه مشيئة الله وقانونه، وليس بوسع أحد أن يبدلها.

يتضمن الدعاء ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ معنى أن اجعل أعمالنا أكمل وأتم. كذلك يتبين من التدبر في هذه الكلمات أنها تتضمن الأمر بالدعاء ظاهرياً لطلب الهداية ولكن الكلمات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾ التي سبقتها توحي بأنه يجب

أن نستفيد منها بمعنى أن نستعين

بالله في محطات الصراط المستقيم

مستخدمين القوى السليمة.

فإن الأخذ بالأسباب الظاهرية

أيضاً ضروري، والذي يتركها

هو كافر بالنعمة. (فلا بد من

الاستعانة بالله لكسب الحسنات

أيضاً) وقد رزقنا للدعاء لساناً قادراً على

إظهار ما تضرمه قلوبنا من الأفكار والإرادات.

كذلك أودع القلب الخشوع والخضوع وقوة التفكير والتدبر.

لو دعونا الله تعالى معطلين هذه القوى والقدرات فلن

ينفعنا الدعاء شيئاً، لأننا إذا لم نستفد من العطية الإلهية

الأولى فأتى لنا أن ننتفع من الأخرى؟ فتقديم جملة «إياك

نعبد» على جملة «اهدنا الصراط المستقيم» يعني أننا نقول:

يا رب العالمين، إننا ما أبطلنا عطيتك الأولى ولم نعطل تلك

القوى والقدرات. واعلموا أن من خواص الرحمانية أنها



كيف تتفق استجابة الدعاء مع العمل بالأسباب!؟

وقد يقول البعض إن الأخذ بالأسباب ليس ضرورياً، والحق أن هذا سوء فهم منه، فإن الشريعة لم تمنع من الأخذ بالأسباب. والحق يقال: أليس الدعاء سبباً من الأسباب؟ أو أليست الأسباب من قبيل الدعاء؟ الواقع أن البحث عن الأسباب بحد ذاته نوع من الدعاء، وأن الدعاء في حد ذاته مصدر لأسباب عظيمة! إن بنية الإنسان الظاهرية ويديه وقدميه كلها دليل طبعي على التعاون المتبادل. وما دام هذا المشهد موجوداً في الإنسان نفسه، فمن المحير المدعش أن يصعب على المرء فهم معاني قوله تعالى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾. غير أنني أقول: اجثوا عن الأسباب أيضاً بواسطة الدعاء. فما دمت أدلكم على ما أقامه الله في أجسادكم من نظام متكامل مرشد إلى ضرورة التعاون المتبادل، فلا أدري كيف يمكنكم إنكاره. لقد أقام الله تعالى في الدنيا نظام إرسال الأنبياء عليهم السلام توضيحاً وتبليغاً لأهمية ضرورة الأخذ بالأسباب أكثر. كان الله ولا يزال قادراً على أنه لو شاء لما ترك أنبياءه عليهم السلام بحاجة إلى أي عون من الناس، ومع ذلك يأتي عليهم وقت يضطرون فيه للقول: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾. فهل تظنون أن نداءهم هذا يكون على غرار المتسولين العاجزين السائلين، كلا، بل إن نداءهم: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» يتسم بالعظمة. الحق إنهم يريدون أن يعلموا الناس ضرورة الأخذ بالأسباب. إن الأخذ بالأسباب الدنيوية ضروري لهم، وهو شعبة من شعب الدعاء، وإلا فإنهم يؤمنون بالله إيماناً كاملاً ويوقنون بوعوده يقيناً تاماً، ويعلمون أن وعد الله ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وعدٌ يقيني ومبرم. يا ترى، كيف ينصرهم أحد إذا لم يلق الله في قلبه فكرة نصرتهم؟

فالأنبياء أيضاً بحاجة إلى الأسباب، ولكنهم ينيبون إلى الله تعالى، فيهيئ لهم الأسباب، حيث يلقي في قلوب الناس ويهيئ لهم كثيراً من السلاطين الناصرين الذين يعينونهم على إنجاز مهامهم.

ويقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يبين غاية الصلاة وأهميتها في سياق الدعاء:

إن هدف الصلاة وأبناها الحقيقي هو الدعاء، وهو مطابق تماماً لقانون الله السائد في الطبيعة. فإننا نرى عادة أن الطفل عندما يبكي وييدي الاضطراب كيف ترضعه أمه في اضطراب. هناك علاقة مماثلة لهذه بين الألوهية والعبودية ولا يمكن أن يُدركها كل شخص. عندما يختر العبد على عتبة الله بكل تواضع وخشوع وخضوع ويعرض عليه ظروفه ويسأله حاجاته، يهيج لطف الألوهية فيرحم مثل هذا العبد. إن حليب فضل الله ولطفه أيضاً يقتضي بكاءً، لذا يجب أن تُقدّم إليه تعالى عين باكية.

ثم يقول عليه السلام: يظن البعض أنه لا جدوى من البكاء والعيول في حضرة الله. إنه ظن خاطئ وباطل تماماً، والحق أن القتالين بذلك لا يؤمنون بالله ولا بصفاته وقدراته وتصرفاته. لو كان في قلوبهم إيمان حقيقي لما تجاسروا على هذا القول. إنما الحق أنه كلما حضر أحد في حضرة الله تعالى ورجع إليه بتوبة صادقة أنزل الله عليه فضله حتماً. ولله درُّ القائل: «أي عاشق هذا الذي لا ينظر إليه حبيبه؟ يا صاح، إن المريض ينقصه الألم وإلا فإن الطبيب موجود».

يريد الله أن تأتوه بقلوب طاهرة، شريطة أن تجعلوا أنفسكم كما يليق بشأته وتحدثوا في نفوسكم تغييراً طيباً يجعلكم جديرين للذهاب إلى حضرته تعالى.

الحق والحق أقول: إن لله تعالى قدرات عجيبة، وعنده

أفضال وبركات لا تنتهي، ولكن يجب لرؤيتها أن تخلقوا عندكم عينَ الحب. إذا كان الحب صادقا فإن الله تعالى يستجيب الدعاء بكثرة ويُؤيد تأييدات كثيرة.

ثم يقول **الطَّبَائِلُ**: لقد قال الله تعالى في مدح المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفُوعُدًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، أي أن المؤمنين هم أولئك الذين يذكرون الله تعالى قائمين وجالسين ومستلقين على الفراش، ويتفكرون ويتدبرون فيما خلق الله تعالى في الأرض والسماء من صنائع عجيبة، وعندما تنكشف عليهم لطائف صنعة الله تعالى يقولون ربنا ما خلقت هذه الصنائع عبثا.

أي أن المؤمنين من الطراز الأول لا يهدفون من معرفة الكون وعلم الأفلاك إلى الاكتفاء بمعرفة شكل الأرض ومدى قطرها وكيفية قوتها الجاذبة وكيفية علاقتها بالشمس والقمر والنجوم فحسب، كما يفعل الناس الماديون، بل إنهم بعد معرفة كمال صنعة الكون وبعد انكشاف خواصه، يرجعون إلى خالقه ويقوون إيمانهم به.

(أي أنهم بعد نيل هذه المعرفة ينيبون إلى الله تعالى ويزدادون إيمانا، وهذه هي علامة المؤمن وميزته)

هذا نزر يسير قدمته لكم من الكنز العظيم الذي أعطانا إياه سيدنا المسيح الموعود **الطَّبَائِلُ**، حيث ألقى فيها الضوء - إلى حد كبير - على أهمية الدعاء وحكمته، وطريقته، وفلسفته، ولو أدركنا هذه الأمور فإننا نستطيع أن نحدث ثورة في حياتنا، وننشئ صلة خاصة مع الله تعالى، ونكون من الذين يجتذبون أفضال الله تعالى. فلكي نفوز بقرب الله تعالى يجب علينا السعي لأن نعمل بأحكامه تعالى، ونقوي إيماننا باستمراره، وندرك حكمة الدعاء وفلسفته،

ونصلح أعمالنا، لندخل في زمرة قوم تستجاب أدعيتهم. ليكون رمضاننا هذا سببًا لإحداث انقلاب في علاقتنا بالله تعالى وفي حالتنا الروحانية. وادعوا لإخوانكم أيضا. لقد كنت أحثكم على الدعاء من أجل أي أحمدي يواجه أي نوع من الشدائد، ولاسيما بسبب الجماعة، سواء في باكستان أو الجزائر أو أي مكان آخر في العالم. أما باكستان فتقع فيها في كل يوم حادثة أو أخرى من هذا القبيل، حيث يؤدي الأحمديون بشكل أو آخر، لذا يجب الدعاء لهم خاصة. وإخواننا في الجزائر أيضا، لأن الحكام ربما يريدون فتح القضايا مجددا ضد إخواننا هنالك، فادعوا لهم بأن يحفظهم الله أيضا. واعلموا أن الدعاء للآخرين وسيلة لقبولي دعاء الإنسان لنفسه، لذا ضعوا هذه الوصفة في الحسبان دائما، بل الحق أن الملائكة تدعو للذين يدعون للآخرين، وإذا كانت الملائكة تدعو لأحد فيا لها من صفقة راجحة!! فعلينا أن نكثر من الدعاء للآخرين أيضا، وليس أن نكتفي بالدعاء لنا فقط. وفقنا الله تعالى لذلك في رمضاننا هذا خاصة.

الهوامش:

١. (البقرة ١٨٤-١٨٧)
٢. (البقرة: ١٨٧)
٣. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢، عدد ١٧ / ١ / ١٩٠٥ م، ص ٢)
٤. حضرة مرزا غلام أحمد القادياني، «بركات الدعاء»، المجلد ٦ خزائن روحانية، ص ١٣، الطبعة العربية الأولى، ٢٠١٦
٥. المرجع السابق
٦. (العنكبوت ٧٠)
٧. حضرة مرزا غلام أحمد القادياني، "عاقبة آثم"، الخزائن الروحانية، مجلد ١١، ص ١٨١
٨. (غافر: ٦١)



مَاهِيَةُ الْبَرَكَةِ فِي شَهْرِ بَرَكَاتِ الدُّعَاءِ

نهاراً وينير القمرُ ليلاً؟!» ووصولاً إلى الراشد المتفلسف حين يتساءل: «لماذا أنا موجود؟!»، وبين هذين السؤالين، تولد كل يوم أسئلة جديدة هي في ازدياد مستمر ما بقيت الخليقة على قيد الوجود. من هذه الأسئلة أو التساؤلات لدينا، نحن معاشر المسلمين، السؤال عن سر تميّز العبادات والمجاهدات في شهر رمضان المعظم عنها في سائر شهور العام! لا شك أن الله المعبود الذي من المفترض أن هذه العبادات والمجاهدات تؤدي بهدف الوصول إليه (سبحانه وتعالى)، لا شك أنه واحد أحد! وهو رب كل مكان ورب كل زمان، فلم يختص بعض الأمكنة بمزية على سائر الأمكنة الأخرى؟ ولم يختص بعض الآونة بمزية

معنى أن تدعو وأنت صائم! الإنسان بفطرته مجبول على التفكير في علل الأشياء والأحداث، حتى إن السؤال الأشهر بعد السؤال عن الماهيات، هو السؤال عن العلل والأسباب، فنرى هذا السؤال يصاحب الإنسان في مراحل نضجه المتعاقبة، بدءاً من الطفل في سني المهد حين يسأل: «لماذا تطلع الشمس

سامح مصطفى - مصر



وفيما يخص شهر رمضان حصراً، فإن فضائله ومزاياه على سائر شهور العام أكثر من أن يُعرض تفصيلها في هذه السطور، والأمة عن بكرة أبيها تحفظ تلك الفضائل عن ظهر قلب، لذا فقد حان وقت البحث في علل هذه الفضائل والمكرّمات.

الجامع لهما يتمثل في أنهما إمساك عن وسائل بقاء مادية، من غذاء يكون به بقاء النفس، وجماع يكون به بقاء النسل. حتى إن أتباع التوجه التقليدي بلوروا التعريف الشرعي للصيام وفق المعنى المذكور، على أنه «الإمساك عن الأكل والشرب والجماع ووسائل المفطرات بنية التعبد لله، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس»^(٣). حسناً، لننظر الآن في الأثر الروحاني لهذا الإمساك، مفترضين أن المرء إذ يمتنع عن الطعام والشراب، إنما يفعل ذلك مضطراً، لمرض ألم به أو فاقة. هذا هو بالضبط عين المراد من الصوم أو الصيام، أن يصل الصائم إلى استشعار حال الاضطراب في دخيلة نفسه، بحيث ينطق لسان حاله: يا رب، فقدت كافة سبل بقائي المادية، ولم يعد أمامي سواك! فماذا يمكن أن نتوقع، والحال كهذه، ممن قال عن نفسه (سبحانه): ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)!

التكامل الأمثل بين الدعاء والعمل بالأسباب

الحق أن القرآن الكريم نفسه قد تناول فلسفة الدعاء هذه وروحه، وبصورة مفصلة، ولكن قلة التجربة الروحية لدى المتأخرين أوقعتهم في وهم أن الدعاء لا قيمة له بإزاء العمل^(٥). وهنا ينبغي التركيز على أمر هام، كان سبباً في

على ما سواها؟! سيكون هذا المقال في هذا التوقيت فرصة للبحث عن جواب على التساؤل الثاني، وهو العلة في فضل بعض الأزمنة، ونخص منها شهر رمضان المعظم. ويبقى بحث العلة في فضل بعض الأمكنة، نرجئه إلى مقال لاحق.

إن أيام الدهر في ذاتها متماثلة، وتميز بعضها على سائرها بما يظهر فيها من خير وأحداث عظيمة، والله در الشاعر إذ قال:

وما فاقت الأيامُ أخرى بنفسها

ولكنَّ أيامَ الملاحِ ملاحٌ^(١)

وفيما يخص شهر رمضان حصراً، فإن فضائله ومزاياه على سائر شهور العام أكثر من أن يُعرض تفصيلها في هذه السطور، والأمة عن بكرة أبيها تحفظ تلك الفضائل عن ظهر قلب، لذا فقد حان وقت البحث في علل هذه الفضائل والمكرّمات.

فما معنى أن يدعو المرء وهو صائم؟! لنعط، بداية، توصيفاً ظاهرياً لحالي الصوم، أو الصيام، وكنا قد عرضنا للفرق بينهما في مقال سابق^(٢)، سنرى أن التوصيف الظاهري

حدوث سوء الفهم، ذلك أن كثيراً من الناس يولون أهمية للعمل فيعتمدون عليه اعتماداً تاماً، فتحبط مساعيهم، ومن الناس أيضاً من يتواكلون على الدعاء دون بذل أي جهد عملي منتظرين استجابة أدعيتهم، ولكن هيهات! (٦)، فإذا كنا قد علمنا سلفاً أن حال الاضطرار شرط لاستجابة الدعاء، فمن الاضطرار أن تنفذ كافة وسائل المرء لبلوغ هدفه، ومن تلك الوسائل الأسباب المادية، وما لم يسلك الإنسان سبيل الأسباب المادية حتى يثبت له عدم جدواها فأنى يكون مضطراً إذن؟! قطعاً لا يعني هذا أن الدعاء يأتي في المرتبة الثانية بعد إنفاذ الأسباب، وإنما معناه أن على المرء استشعار خفة كفة الأسباب، حتى وإن كانت مجدية، مقابل الدعاء.

فكرة أن الله جزاء الصائم

عند قراءة أو سماع حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه فيما رواه عن ربه عز وجل: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْرِي بِهِ» (٧)، والحديث برواية أخرى، وهي «أَجْرِي بِهِ»، بمعنى أن الله تعالى يكون هو نفسه جزاءً للصائم.. وبمجرد أن يرسخ في الذهن هذا المعنى فسرعان ما يحدث أمر أشبه بالتداعي الفكري، ويتراءى مشهد من مشاهد السيرة النبوية المطهرة رأي الخاطر، وإذا بالنبي ﷺ ومعه أصحابه وجمع من حديثي العهد بالإسلام ممن أسلموا بعد الفتح، وبين يدي النبي من الفياء ما رأى توزيعه على أولئك الأحداث تأليفاً لقلوبهم، ثم لا يعطي الأنصار من هذا الفياء شيئاً!

بعقد موازنة بين الموقفين، موقف الأنصار بالأمس، وموقف الصائمين كل يوم، ألا نرى تشابهاً عظيماً؟! لقد كان من عزوف الأنصار عن العرض الدنيوي المادي واكتفائهم برسول الله، بل وفرحتهم الغامرة إذ يرجعون به

إلى مدينتهم العامرة، ما رواه أبو سعيد الخدريّ فقال: «لَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ؛ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ؛ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيُّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ؛ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفِيءِ الَّذِي أَصَبْتَ؛ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عَظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟! قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدُ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ، فَزَدَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدُ، فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ، وَجِدَّةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟! أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَمِمَّاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَاللَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمُنُّ وَالْفَضْلُ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكْذِبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَخَذُولًا فَصَرَّنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسْتَيْنَاكَ، أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِمُوا، وَوَكَّلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالنِّسَاءِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ

فما معنى أن يدعو المرء وهو صائم؟! ... الصيام إمساك عن وسائل بقاء مادية، من غذاء يكون به بقاء النفس، وجماع يكون به بقاء النسل... لننظر الآن في الأثر الروحاني لهذا الإمساك، مفترضين أن المرء إذ يمتنع عن الطعام والشراب، إنما يفعل ذلك مضطراً، يصل الصائم إلى استشعار حال الاضطرار في دخيلة نفسه، بحيث ينطق لسان حاله: يا رب، فقدت كافة سبل بقائي المادية، ولم يعد أمامي سواك!

حال الاضطرار الطوعي من خلال مجاهدة «الصيام»، والتي هي مجاهدة جماعية، حيث إن دلالة البنية اللفظية لـ «الصيام» تفيد معنى الممارسة الجماعية للأمة كافة، وحين يُصدر المولى الحكيم سبحانه تشريعاً إلى الأمة كافة يذكر «الصيام» ولا يذكر «الصوم»، وهذا يلاحظ في

الأنصار، ولو سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ! قال: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَحْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسَمًا وَحَظًّا^(٨).

على مستوى الجماعة والأمة أيضًا!

مع كل ما تقدّم، قد لا يجد أحدٌ غضاضةً في أن يمارس الصوم في غير رمضان، ومن ثم ينخرط في حال الاضطرار التي هي شرط أساس لاستجابة دعائه، فأى أفضلية لرمضان إذن؟!

إن فضل رمضان يتمثل في كونه شهر البركة، والبركة في لسان العرب تعني الاجتماع، ومما نقله ابن فارس في معجمه العظيم «مقاييس اللغة» عن نخبة من الرواة في معنى البركة قولهم: «حَلَبْتُ النَّاقَةَ بَرَكْتَهَا، وَحَلَبْتُ الْإِبِلَ بَرَكْتَهَا: إِذَا حَلَبْتُ لَبَنَهَا الَّذِي اجْتَمَعَ فِي ضَرْعِهَا فِي مَبْرِكِهَا وَلَا يُسَمَّى بَرَكَةً إِلَّا مَا اجْتَمَعَ فِي ضَرْعِهَا بِاللَّيْلِ وَحَلِبَ بِالْغَدْوَةِ. يُقَالُ: أَحْلَبْنَا مِنْ بَرِكِ إِبِلِكَ»^(٩). فإذا كان دعاء الفرد في غير رمضان يُستجاب إذا ما تحقق شرط الاضطرار، فإن استجابة دعاء الأمة في رمضان يكون مستجاباً من الله تعالى بفضل دخولها في



السياق القرآني، إذا ما عرضنا عرضاً مقارناً بين الآيات التي أُسْتُعْمِلَ فيها لفظ «الصيام» والآيات التي أُسْتُعْمِلَ فيها لفظ «الصوم». فخلاصة الكلام في هذه النقطة أن من معاني الصوم صَمُّ منافذ الشهوات، أي سدها، وإلى جانب ذلك، فهو ممارسة سرية يقوم بها العبد، ولا يطلع عليها سوى الله، الأمر الذي يفسر كون الله تعالى «أَجْزِي به»، وفي رواية «أَجْزَى به»، أي يكون هو نفسه سبحانه جائزة الصائم المخلص المحتسب. أما «الصيام» فهو التفعيل الجماعي للصوم، بحيث تؤديه الأمة كلها، فتنزل البركات عليها بشكل جماعي ملحوظ، ولا يخفى ما للممارسات التعبدية الجماعية في مكان واحد وزمان واحد من أثر إيجابي بالغ، فصلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد، والحج فريضة جماعية في مكان واحد، وهذا أثره يدركه الجميع، فكذلك الصيام، فريضة جماعية في زمان واحد، فلکم أن تتصوروا ما له من بركات^(١٠).

الهوامش:

١. محمد الخضر حسين موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، ج ١٠، ص ١٤١، دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣١هـ.



٢. راجع: صام المقربون الأولون صوما، "التقوى"، عدد يونيو ٢٠١٧، الرابط:

٣. عبد الرحمن بن ناصر البراك، العدة في فوائد أحاديث العمدة، ص ٢٩٩.
٤. (النمل: ٦٣)
٥. خطبة الجمعة حضرة مرزا مسرور أحمد، ٢



٦. راجع علاج الركام الروحاني، "التقوى"، عدد مارس ٢٠٢١، الرابط:

٧. (صحيح البخاري، كتاب الصوم)
٨. مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين
٩. أحمد بن زكريا بن فارس، مقاييس اللغة، مادة "ب ر ك"



١٠. راجع علاج الركام الروحاني، "التقوى"، عدد مارس ٢٠٢١، الرابط:

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك تسعد أسرة التقوى أن تتقدم لقراءتها
الأفاضل وللأمة الإسلامية قاطبة بخالص التهاني وأطيب الأمنيات،
سائلين الله القدير أن يهل عليكم الشهر الفضيل بالمغفرة والهدى والرحمة
والرضوان والخير واليمن والبركات.
وكل عام وأتم بخير

هَذَا زَمَانٌ هَكَذَا أَهْلُهُ

هذا زمانٌ ليس إخوانه
إخوانه كُلُّهم ظالمٌ
يلقّاك بالبشر وفي قلبه
حتى إذا ما غبت عن عينه
هذا زمانٌ هَكَذَا أَهْلُهُ
يا أيها المرء فكن مُفردًا
وجانب الناس وكن حافِظًا
يا أيها المرء يا أخوان
لهم لسانان ووجهان
دائمٌ يُـواريه بكتانٍ
رَمَاكَ بالزور والبُهتانِ
بالودِّ لا يصدقك اثنانِ
دَهرك لا تأسس بإنسانِ
نفسك في بيتٍ وحيطانِ

* * *

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ
واسترزق الله مما في خزائنه
إن الذي أنت ترجوه وتأمّله
ما أحسنَ الجود في الدنيا وفي الدينِ
ما أحسنَ الدين والدنيا إذا اجتمعا
لو كان باللُّب يزداد اللبيب غنى
لكتّما الرزقُ بالميزان من حكم
فإنّ ذلك وهنٌ منك في الدينِ
فإنما الأمرُ بين الكاف والثونِ
من البريّة مسكين ابنُ مسكينِ
وأقبح البُخلِ فيمن صيغَ من طينِ
لا بارك الله في دُنيا بلا دينِ
لكانَ كل لبيبٍ مثل قارونِ
يُعطي اللبيب ويعطي كل مأفونِ

مقتطفان من ديوان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

كيف يسكن حب الله في القلب؟

الألسنة بالمحامد والثناء.. فكيف بالله رب العالمين الرحمن الرحيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.. والذي هيا الكون كله بسماواته وأرضه لاستقبالنا ونحن لا نزال طي العدم.. فجعل الأرض لنا مهادًا ذلولًا نمشي في مناكبها نبتغي أرزاقنا.. وثبتها بالجبال أوتادًا كي لا تميد بنا .. ولأجل معيشتنا جعل الهواء غلافًا يحوطها بنسب دقيقة محددة.. وصنع لنا في سمائها شمسًا تضيء نهارنا وتدفئنا ثم جعل القمر نورا يبدد ظلام ليلنا .. أنزل لنا من الأنعام ما نركب ونأكل ونسج ونتزين .. وعلم الإنسان ما لم يكن يعلم.. ليوفر له كل سبل الراحة.. وكان فضل الله عليه عظيمًا.. ثم ربى أرواحنا كما ربى الأجساد وهيا لها ما تحتاج.. فأرسل الأنبياء وأتباعهم الخالص على مر الزمان والمكان ليكونوا شمس الهداية وأقمارها لا يفارقونا بأنوارهم من ليل أو نهار وختمهم بسراج منير إلى يوم القيامة هو سيد الخلق محمد ﷺ.. وأنشأ من فوقنا سبعًا طباقًا من سموات روحانية ليشبع حاجة الروح للترقي والعروج في مدارج السالكين بحثًا عنه سبحانه.. وأنزل لنا كتبًا ترشدنا وتهدينا لصلاح ديننا

سألني بلهفة وصدق قائلًا : أخبرني بالله عليك ؛ كيف أحبُّ ربِّي؟
أطرقت لحظة ثم قلت: لقد سألت عن عظيم .. وإنه ليسير على من يسره الله عليه .. وسؤالك هذا هو بداية الطريق ونهايته في آن واحد.. فمن ذاق قلبه رشفةً من حب ربه فلن يشبع بعدها أبدًا.
إذا كانت النفس البشرية مجبولة على محبة كل جميل.. فهي حتمًا ستعشق الله منبع الجمال .. وإذا كانت مفطورة على الانجذاب إلى كل جليل كريم .. فلا شك ستشغف حبًا بذي الجلال والإكرام .. إن قلوبنا تتحرك محبتها نحو السخي الذي يعطي بلا مقابل وبغير استحقاق .. ولا يريد منا جزاء ولا شكورًا؛ ومثلته تلهج

د. أسامة عبد العظيم



إن رمضان فرصة لتتهيج عاطفة الحب لله سبحانه وتعالى وإحيائها في القلب.. فمن أثر الله على نفسه وهواه فهو يحب الله.. ومن ترك طعامه وشرابه لأجل الله فهو يحب الله.. ومن تلذذ بطاعة الله وهجر فراشه الدافئ فهو يحب الله.. ومن أحب ما يحبه الله فهو يحب الله.

وديانا كان آخرها وأعظمها وأكملها القرآن الكريم ..

ولم يتركنا هملًا ولا سدى كالأنعام السائبة.

فهذا أحد جناحي طائر المحبة الإلهية: مشاهدة منن الله وأفضاله ونعمه التي تترى على العبد دون استحقاق..

والجناح الثاني هو جناح مطالعة عيب النفس والعمل..

وهو ما يُورث القلب خجلًا وحياءً من الكريم الذي

يشكر القليل من العمل ويغفر الكثير من الزلل..

ويعطي ولا يمنع رغم القصور والخطأ ولا يوصد بابه

مهما تكرر الذنب.. أفلا يُحب؟!.. نحن نردد كل

صباح وكل مساء

«أبوء لك بنعمتك علي .. وأبوء بذنبي» ..

حتى تظل قلوبنا محلقة في سماء الإيمان

بين الرجاء والخوف يحدوها حادي

المحبة لله تعالى.

إن رمضان فرصة لتتهيج عاطفة

الحب لله سبحانه وتعالى وإحيائها في

القلب.. فمن أثر الله على نفسه وهواه

فهو يحب الله.. ومن ترك طعامه وشرابه

لأجل الله فهو يحب الله.. ومن تلذذ بطاعة الله

وهجر فراشه الدافئ فهو يحب الله.. ومن أحب ما يحبه

الله فهو يحب الله.

قال بعضهم :

عذابي فيك عَذْبٌ

وُعدي فيك قُرْبٌ

وأنت عندي كَرُوحِي

بل أنت منها أَحَبُّ

حسبي من الحب أني

لما تحب أحب

حين يسكن حب الله تعالى القلب يذوب بداخله كل

ما سوى الله .. حب الله يجعل المر حُلُومًا، والتراب تبرًا،

والكدر صفاء، والمحنة منحة، والسجن روضة، والمنع

عطية.

حب الله يلين الحديد، ويذيب الصخور،

ويبعث الموتى، وينفخ في الأرواح الحياة

من جديد.

القضية يا أخي ليست في أن نحب الله ..

إنما القضية حقًا في أن نكون نحن ممن

يحبهم الله تعالى.

قال أحد السلف في قوله تعالى:

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

ليس العجب من قوله: يُحِبُّونَهُ

وإنما العجب في قوله: يُحِبُّهُمْ



مَوْقِفُ الْعَالَمِ مِنْ رِسَالَتِ السَّمَاءِ

ويُلام الكسول والمقصر والتارك للعمل رغم توافر الظروف المواتية له، كذلك جعل الله تعالى الأنبياء للعالم الروحاني شمساً التي تنير العقول وتجذب الأرواح نحو الله تعالى. وهدى الله سبحانه وتعالى بهم البشرية إليه على مر السنين، حيث قال ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(١)، فسبحان من يصلّي علينا بإرسال الرسل لينجّي العباد من الضلال، فمن قبلهم فقد استمسك بالعروة الوثقى، فلا يلقى قربه تعالى إلا ذو حظ عظيم، الذي أحسن الصحبة، واتخذ مع الرسول سبيلاً، فلا يضل عن الذكر ولا يجزى.

ما حاجة العالم إلى رسالات السماء!؟

وكتوضيح لحاجتنا للأنبياء وعدم القدرة على الرؤية الواضحة بدون هديهم يقول حضرة الإمام عليه السلام: «بسبب مئات أنواع الغفلة والحجب، وصولات النفس والزلات، والضعف والجهل والظلمات، والعتار في كل خطوة والأخطار المتتالية، والوساوس، وآفات الدنيا وبلاياها المختلفة الأصناف والألوان،

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون، وجعل لكل ما فيه دوراً معيناً، وكما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١)، فلا يمكن لليل أن يكون نوراً للعالم ومعاشاً، ولا يمكن للنهار أن يكون سكوناً كمثل الليل، وهكذا يؤدي كل دوره على أتم وجهه، فليس من العقل أن نطلب الشيء في غيره موضعه.

شمس العالم الروحاني

وهذه هي قوانين الطبيعة التي حثنا الله تعالى على تأملها، لأنها تعطينا فهماً للحياة وسننه تعالى، فكما أن للعالم المادي شمس المضيئة التي تهدي الناس بنورها للقيام بمهامهم في وضوح النهار،

ضحى أحمد - سوريا



فإن كل إنسان بطبيعته يشعر في قلبه بأنه بحاجة حتماً إلى يد قويّة تنقذه من جميع هذه المكروهات؛ لأنه ضعيف بطبيعته، فلا يستطيع أن يثق بنفسه لحظة واحدة بأنه قادر بنفسه على الخروج من ظلمات النفس.

بتعبير العلم التجريبي «عينات عشوائية» من التاريخ الإنساني، وسنستخلص من تلك العينات مجموعة قواسم مشتركة لنكتشف سويّاً أن تلك القواسم سنن ثابتة لا يجري عليها التغيّر مهما تبدلت الأمم أو تحوّل أو تغيّر المكان.

فعن قوم صالح عليه السلام، يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾^(٤). ومن منا لم يسمع عن احترام أهل مكة الجم للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة؟!

لقد كان (عليه الصلاة والسلام) الصادق الأمين في نظرهم، حتى أنه هو نفسه قدم هذا الأمر دليلاً على صدقه، ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٥)، ولكن لما بعثه الله تبارك وتعالى وأعلن نبوته، عادوه، وانقلب كلامهم الطيب إلى كلام مؤذٍ، واتهموه بالسحر والكذب والجنون، وأنكروا نبوته بدعوى أنه بشر مثلهم! وبالغوا بعرض آلاف الأسباب لرفضه، في حين كان لا يطلب على هدايته إياهم أجراً، وكان همه وشغله الشاغل تنوير عقولهم، وجذب قلوبهم نحو المنبع، وكاد يذهب نفسه حسراتٍ خوفاً عليهم من أنفسهم التي رفضته من تكبرها، فبطروا الحق وغمطوا النبي، وما توانوا يتفننون بأنواع الإيذاء ويقابلون الإحسان بالإساءة.. ولكن أتكفُّ الشمس المشرقة عن السطوع حين يُصمها الجهال بعار الظلام؟! هيهات! إنما يؤدي كلُّ دوره الذي خُلق له، وستبقى الشمس تسطع بنورها مؤديةً دورها، وكذلك النبيون، إنما شغلهم الشاغل إخراج الناس من الظلمات إلى النور بمشيئة الله تعالى.

فإن كل إنسان بطبيعته يشعر في قلبه بأنه بحاجة حتماً إلى يد قويّة تنقذه من جميع هذه المكروهات؛ لأنه ضعيف بطبيعته، فلا يستطيع أن يثق بنفسه لحظة واحدة بأنه قادر بنفسه على الخروج من ظلمات النفس»^(٢)

الفرار من المصلح

وأثناء مسيرة البشر وحياتهم، تراهم يحبّون المحسنين والصالحين ويكرمونهم، فالتنفوس جُبلت على حبّ من يحسن إليها، ومن أكثر إحساناً من الصالحين؟! ولكن الغريب في الأمر أنه عندما يُعلن أحد هؤلاء الصالحين أنه رسول من الله تعالى، لا يلبث احترام الغالبية العظمى من المحيطين به والمعاشين له أن يستحيل كرهاً وازدراءً، وكأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة، فما السبب الكامن وراء ردّة الفعل هذه، على الرغم من أنّ هذا النبي لا يحمل لهم إلا الخير، بل إنهم ما جربوا عليه كذباً ولا شراً قط؟! ألا يدعوننا هذا التحول ذو الـ ١٨٠٠ درجة إلى التساؤل عن سر العداة المفاجيء؟! الأمر الغريب الآخر، الذي ينبغي ألا يفوتنا التماس سبر سره، أن التحول إلى العداة المفاجيء من بعد ذلك الاحترام الجم يعدُّ قاسماً مشتركاً بين كل الأقوام بلا استثناء إزاء رُسُلهم.

الجواب في كتاب السنن

في بحثنا عن الجواب والتعليل المناسب للظاهرة المذكورة والمتكررة في كل العصور، علينا استحضار نماذج إحصائية أو فلنسمها

طبائع الناس على محك النبيين

بمجرد أن يبعث الله تعالى نبيه، لا يلبث الذين كانوا بالأمس يجمعون على احترامه وإكرامه وحسن وفادته، أن ينقسموا طائفتين بإزائه، طائفة لا تزداد لذلك النبي إلا احتراماً وتبجيلاً، وبينما كانت من قبل تلقاه بالاحترام كنوع من الذوق الفطري العام، أصبحت الآن ترى حبه واحترامه واجبا أخلاقيا وفرضا ربانيا مفروضا عليها، وأولئك هم ذوو الطبع السعيد والقول السديد. الطائفة الأخرى التي انقلب معيار حكمها على أخلاق ذلك النبي، والتي لا تشبیه لحالها أبلغ

من اتّهام أهل القانون لشهود الزور بتضارب الأقوال! نعم، متهمو النبيين لا يعدون كونهم شهود زور، وإلا فبهم نفس تغييرهم شهادتهم عن أخلاق النبي من النقيض إلى النقيض بمجرد إعلانه نبأ رسالته؟! من هنا كان بعث النبيين تمييزاً

للخبيث من الطيب، لا سيما وأن الغالبية العظمى من خبيثاء السيرة هؤلاء

كانوا من قبل يتصفون بين أقوامهم بالوجهة وحسن الخلق في الظاهر، ولندكر مثلاً أبا جهل، الذي كان يُدعى بأبي الحكم، وغيره وغيره، فسبحان من سبر خبث سرائر هؤلاء!

بم نفس ذلك التحول؟!!

لقد أعلنت آي الذكر الحكيم قانوناً ثابتاً يقول ما نصه: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١)، نعم، تشابهت قلوبهم، فالعقلية الكفرية التكفيرية هي نفسها في كل العصور، وفي ذلك التشابه المقيت يكمن التعليل الذي نبحت عنه، وفيه نصف الجواب. أما النصف الآخر فمرده إلى أن قلوب منكري النبيين كالحجارة

أو أشد قسوة، فالرفض والتكبر والتعنّت ديدنهم، إنهم يقفون من ماء السماء موقف الصخرة الصماء القاسية، لا تُمسك ماءً ولا تُنبِت كلاً، وينتهي أمرها مع انهمار ماء السماء عليها إلى التفتت والتلاشي.

إن هؤلاء الغلاظ القساء وأشياءهم يرفضون المصلح لاصطدام منهجه النوراني الرباني بصخرة أهوائهم ورغباتهم فيكونون له كل حقد ويبدلون حثيث سعيهم للانتقام منه، ولو أنهم تفكروا بما يحمله لهم من خير لاتخذوا معه سبيلاً، فمصلح واحد كما قال

أهل العلم أحبُّ إلى الله من ألف صالح، لأن المصلح قد يحمي الله به أمةً كاملة، والصالح يكتفي بحماية نفسه فقط، وهذا ما بيّنه الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٧)

مبعوث آخر الزمان.. التاريخ يعيد

نفسه

ولم يكن المسيح الموعود (عليه الصلاة والسلام) بدعا من الرسل، بل لحقه من الأذى ما لحق سيده خاتم النبيين ﷺ من قبل وسائر النبيين، وذلك بعد أن كان موضع التقدير قبيل إعلانه ما أمره الله تعالى بالصدوع به من أمر الرسالة، أو ليس ألد أعداء المسيح الموعود (عليه الصلاة والسلام) وجماعته، هم أنفسهم من كانوا يكيلون له المديح ويملؤون الصفحات بذكر مناقب حضرته في ذوده عن حياض الإسلام؟! بلى، ولكنها سنة عداء الأنبياء في النبيين بلا استثناء ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٨). فالآن تبدو بجلاء سنة استدارة الزمان وإعادة حلقات التاريخ، وهذا مما يؤسف له! لأن من لا يتعظون من دروس التاريخ يُحكّم عليهم بتكرارها وتجرع مرارتها.



كيف يستسيغ العقل فكرة أن تتركنا يد القيومية دون رعاية في أي مرحلة من مراحل الزمان؟! إن الإله الحي الذي ما ترك الإنسانية منذ بداية خلقها، أتى لنا أن نظن أنه يتركها الآن وهي بأشد الحاجة إليه؟! مع كل هذه الهبات والعطف والرحمة، لا عاصم للعاق من أمر الله تعالى حتى ولو أوى إلى جبل.

لا ويل للمصدقين مطلقاً!!

يوصينا الله تعالى باتباع رسله في كل زمان، فإذا ما سألنا أي شخص، حتى لو كان من حزب المكفرين، لو سألناه عن الموقف الذي ينبغي عليه اتخاذه بإزاء من يعتقد أنه مبعوث من الله تعالى حقاً، لأجاب: قطعاً سأؤمن به وأتبعه من فوري.. إن المشكلة تتلخص في ادعاء حزب المكفرين القلق من أن يكون تصديقهم من نصيب كاذب، وهنا مربط الفرس، إن الله تعالى لم يتوعد المصدقين مطلقاً، حتى وإن كان تصديقهم في غير محله بعض الوقت، فلصدقهم وتصديقهم لا يكون هناك مجال للشك في أن الله تعالى سيتولاهم ويلهمهم سبيل الصواب، والقول بغير ذلك قدح في قيومية الله تعالى الذي قال عن نفسه: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٩)، وليس الصدق ضرباً من ضروب الصلاح ودروبه، إن لم نقل أولها؟! أما على الجانب الآخر، فبعملية إحصائية مثيرة لآيات الوعيد بالويل في القرآن الكريم نحصل على ٧٢ آية، أما الويل للمكذبين خاصة فيحوز نسبة السدس من آيات الويل بشكل عام، أي ما مقداره ١٢ آية، أفلا يدعونا هذا إلى الإمعان والتساؤل؟! لا ويل للمصدقين مطلقاً، بل الويل للمكذبين!!

العناية الربانية سنة ربانية

كما تكفل الله تعالى بنا في بدء خلقنا وهيئاً لنا رغم ضعفنا من يقوم على رعايتنا بلطفه ورحمته، ثم هيئاً لنا في الكبر من يدعو لنا بالرحمة ويأخذ بيدنا ويلبي حاجتنا وحرّم إيداءنا ولو

بكلمة تجرح مشاعرنا، فرعى عباده بكرمه ولطفه في حالتي الضعف في الأولى والأخرى، فلماذا إذن نستبعد أن يكون ذلك الحي القيوم قد هيأ لنا الرعاية المماثلة في العالم الروحاني؟! كيف يستسيغ العقل فكرة أن تتركنا يد القيومية دون رعاية في أي مرحلة من مراحل الزمان؟! إن الإله الحي الذي ما ترك الإنسانية منذ بداية خلقها، أتى لنا أن نظن أنه يتركها الآن وهي بأشد الحاجة إليه؟! مع كل هذه الهبات والعطف والرحمة، لا عاصم للعاق من أمر الله تعالى حتى ولو أوى إلى جبل. فليكن معلوماً إذن أن موقف العالم في كل عصر من النبيين هو موقف واحد، إذ ينقسم معاصرو النبي بين مؤيد ومعارض، بعدما كانوا جميعاً من قبل يلقونه بفتح الأبواب ومزيد الترحاب، ولندرك ثبات تلك السنة في كل زمان ومكان. ولا يغيبن عن بالنا أن كل مبعوث يبعثه الله تعالى إنما تقاس عليه طبائع الناس ومدى نقاء سريرتهم، ندعو الله تعالى أن ينقي سريرتنا ويجنبنا خبث النفوس.

الهوامش

١. يس: ٤١ . ٢. (الأحزاب: ٤٤)
٣. مرزا غلام أحمد القادياني، عصمة الأنبياء.
٤. (هود: ٦٣) . ٥. (يونس: ١٧)
٦. (البقرة: ١١٩) . ٧. (هود: ١١٨)
٨. (الأحزاب: ٦٣) . ٩. (الأعراف: ١٩٧)

فانزادك

* قمة الأدب أن تنصت إلى شخص يحدثك في أمر أنت تعرفه جيداً وهو يجله.

السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة كلها في أن تملكه نفسه. (أبو حامد الغزالي)

* لا تتحدث عن سعادتك أمام تعيسٍ، لا تتحدث عن حزينك أمام سجين، لا تتحدث عن أولادك أمام عقيمٍ، لا تتحدث عن والدك أمام يتيم. لا تكتب إلا خيراً ولا تقل إلا خيراً.

* زُنْ كلامك في كل أمور حياتك واجعل مراعاةً مشاعر الآخرين جزءاً من كينونتك.

* وقُلْ للشامتين بنا أفيقوا.. فإن نواب الدنيا تدورُ. (المتنبي)

الناس عبيد لما عرفوا وأعداء لما جهلوا. (أبو حامد الغزالي)

* ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ.

(المتنبي)

* وأنت لو تأملت أحوال الناس لوجدت أكثرهم غيوباً أشدهم تعيباً.

(الجاحظ)

* لا يعرف الخطأ من يجهلُ الصواب. (الجاحظ)

* لا تحسبن رقصي بينكم طرباً، فالطير يرقص مذبحاً من شدة الألم. (المتنبي)

قيل في آداب الصمت والكلام

* سئل الجاحظ عن صفات

الإنسان العاقل، فقال: هو الذي يعلم متى يتكلم وكيف يتكلم، ومع من يتكلم. (الجاحظ)

* تُعرف حماقة الرجل في ثلاث: في كلامه في ما لا يعنيه، وجوابه عما لا يُسأل عنه، وتهوره في الأمور. (الجاحظ)

* يوزن المرء بقوله ويقوم بفعله. (ابن خلدون)

* شعور الإنسان بجعله ضرب من ضروب المعرفة! (ابن خلدون)

* اتباع التقاليد لا يعني أن الأموات أحياء، بل أن الأحياء أموات. (ابن خلدون)

* الخلق من إذا مدحته خجل وإذا هجوته سكت. (مصطفى لطفى المنفلوطي)

* البخلاء جمال عطشانة، والمياه محملة على ظهورهم.

إعداد الداعية نفيس أحمد قمر



ALTAQWA

Monthly Islamic Magazine Vol. 34 - Issue 12, April 2022

رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

www.altaqwa.net

